تاريخ فلسطين:
الدول والشعوب والطوائف والديانات

خالد جمعة

تمهيد:

كثيرة هي المياه التي جرت في نهر التاريخ الفلسطيني، وكثر المقيمون والعابرون على جلد هذا البلد الذي لم يهدأ لحظة خلال التاريخ القديم أو الحديث، فكانت التفاعلات في المنطقة تنعكس عليه مباشرة، كما كان هو بدوره يعكس نفسه على تفاعلات الأحداث.

دول وشعوب خلقت مذاهب واعتنقت ديانات وأفرزت طوائف، بعضها بقي ليؤسس دعامات حضارة بقيت آثارها إلى اليوم، وبعضها مر دون أن يترك تأثيراً، منهم من كان يتخذ من فلسطين مركزاً، ومنهم من كانت فلسطين بالنسبة إليه بوابة حماية أو بوابة توسع، لكن في جميع الحالات بقيت هذه المنطقة من العالم القديم والحديث مركزا يتطلع إليه الفاتحون والباحثون عن الألق في التاريخ.

هذا الملف يتعرض للدول والشعوب والطوائف والمذاهب والديانات التي مرت على التاريخ الفلسطيني، كمحاولة قد يستطيع المهتمون البناء عليها.

ملاحظة: سيرتكز ترتيب هذه المواد على الزمن حيث ستأتي من الأقدم إلى الأحدث.

١ــ العصور القديمة:

العصر الحجري القديم وهو يمتد من نصف مليون سنة قبل الميلاد إلى ١٤,٠٠٠ سنة قبل الميلاد، وقد عثر الباحثون على مخلفات العصرين الابيفيلي والأشولي في عدد من الكهوف على سفح الكرمل وشمال بحيرة طبريا، كما وجدت هياكل عظيمة في جبل المكبر وشمال غرب بحيرة طبريا، وترجع الهياكل العظيمة إلى جنس بشري يعرف بالنياندرتال والذي يعد أهم حلقات تطور الجنس البشري.

العصر الحجري الوسيط ويمتد من ١٤,٠٠٠ سنة ق.م إلى ٨٠٠٠ سنة ق.م، والحضارة في فلسطين في هذا العصر يطلق عليها الحضارة النطوفية نسبة إلى مغائر النطوف شمال القدس، وقد تم العثور على شواهد تشير إلى ظهور مجموعة

بشرية جديدة يبدو أنها أسست لحضارة فلسطينية محلية تركــزت علــى الــساحل الفلسطيني.

عاش النطوفيون في المغائر والكهوف في جبال الكرمل وتــلال القــدس والخليــل وأريحا وقرب بحيرة الحولة، واعتمدوا على الصيد كما عاشوا على جمع الثمار.

ترك النطوفيون أدوات صوانية مسننة كجزء من منجل وأجران ومطارق حجريــة وقطع صوانية مختلفة الحجم، وقد عثر في أحد كهوف الكرمل على ما يزيد علــى ٤٠٠٠ قطعة من هذا النوع، كما عثر على عظام غزلان وعظام كلاب، ويــستدل الباحثون من الموجودات على أن النطوفيين قد عرفوا الاستقرار في تلك المنطقة.

وكشفت أثريات عين المالحة عن بيوت حجرية وأماكن لتخزين الغذاء، كمــا دلــت الاكتشافات على أن النطوفيين كانوا يدفنون موتاهم تحت الأماكن السكنية، وقد عثر على قلائد وحلي مرتبة على شكل حلقات حول رأس الميت. وعثر علــى صــبغة حمراء مصنوعة من أكاسيد الحديد من عدة قبور، وقد عرف النطوفيــون التجــارة وكانت لهم اتجاهات فنية خاصة بدليل التماثيل الرملية التي عثر عليها في مغــارة الزويتيني وتم العثور أيضاً على عدة أشكال منحوتة من عظم الغــزال فــي وادي فلاح، كما عثر على رؤوس سهام صوانية في أريحا.

العصر الحجري الحديث ٨٠٠٠ق.م- ٤٥٠٠ق.م: عثر على عدة بيــوت ســكنية تعود إلى هذا العصر في عين المالحة ولكن لم يعثر على دلائل تقود إلى اكتــشاف الزراعة في ذلك الوقت، ويعتبر الباحثون أريحا من أهم مناطق الشرق القديم التــي تمثل فترة الانتقال من الصيد إلى الاستقرار، وقد اكتشف في أريحا بيوت تعود إلى العصر ما قبل الفخاري مبنية من الطوب باليد والمجفف بالشمس. وقد بني حــول المدينة سور بعد أن ازداد عدد سكانها إلى ٢٠٠٠ شخص، وكان السور مبنياً مــن الحجارة المتراصة عرضه ١,٨٢م وضم برجاً دائريــاً وخــزان للميــاه ومخــزن للحبوب ولا يزال البرج قائماً إلى اليوم وارتفاعه ٩,١٤م. وقد تبين من الدراســات التي أجريت على بعض المواد المتفحمة أن هذا الانجــاز المعمــاري يعــود إلــى

٧٠٠٠ق.م. أي قبل الأهرامات بأربعة آلاف عام. وقد قادت الحفريات إلى أن الفخار ظهر لأول مرة في فلسطين في حوالي ٦٠٠٠ق.م، أما النحاس فقد استعمل سنة ٤٥٠٠ق.م، ويطلق على الحضارة التي بدأت باستعمال النحاس اسم الحضارة الغسولية نسبة إلى تليلات الغسول شمال البحر الميت، وقد غلب على أدوات هذا العصر دقة الصناعة والبدء بصقل وتلوين الفخار، وقد اشتهر بهذه الصناعات سكان تل أبو مطر(المطريين)، وقد اعتبر موقع تمنة قرب المناعية من أقدم مراكز تعدين النحاس. واكتشفت عدة مواقع تعود للعصر نفسه تقع بين جبال الخليل والبحر الميت، كما اكتشف فخار يعود إلى هذا العصر في الخضيرة وعثر فيه على أواني تحتوي على عظام موتي.

العصر البرونزي ٣٢٠٠-١٢٠٠ق.م: ويبدأ هذا العصر بظهور مدافن رأسية تنسب إلى جماعات قضت على حضارة العصر الحجري النحاسي، وتلت مرحلة المدافن الرأسية مرحلة ظهور مدن تحصينية أقيمت على هضاب مرتفعة ذات موقع دفاعي، وانتشرت هذه المدن في الشمال والوسط حيث المياه وطرق التجارة، ومن أهم هذه المواقع تل القدح وخربة الكرك قرب طبرية وبيسان والعفولة وتل تعنك وتل المتسلم (مجدو) في مرج ابن عامر ورأس الناقورة وأريحا القديمة وتل الفارعة وتل النصبة وتل الدوير وتل عراد وتل بيت مرسيم ومواقع أخرى كثيرة.

سميت تلك الفترة بعصر دويلات المدن بعد أن زاد عدد سكان فلسطين وأصبح للمدن قوة سياسية واقتصادية بعد ذلك دخلت فلسطين في العصر البرونزي الوسيط الذي امتاز بتوفر عدد من المصادر المكتوبة، وقد شهد النصف الأول من الألف الثاني ق.م حكم الهكسوس (ملوك الرعاة الأجانب) الذين تولوا السلطة في مصر لمدة ٢٠٠ سنة وسيطروا على سورية وفلسطين. وبعد انتهاء حكم الهكسوس منتصف القرن السادس عشر ق.م وقعت سوريا وفلسطين تحت الحكم المصري المطلق، وتدل على ذلك وثائق تل العمارنة التي قدمت معلومات تفصيلية عن تلك

الفترة. وقد كشفت الرسائل بوضوح إضافة إلى الحفريات عن أعمال تدمير في عدد من المدن الفلسطينية من جراء أعمال العنف.

العصر الحديدي ١٢٠٠ق.م – ٣٣٠ق.م: في القرنين ١٣ و١٢ق.م شهدت فلسطين وسورية والأردن تأسيس عدد من الممالك كما استقبلت عدد من الهجرات أبرزها هجرة الشعب الفلسطيني الذي جاء إلى جنوب كنعان تدريجياً، واستطاع الفلسطينيون بناء قوة سياسية وتأسيس عدد من المدن على الساحل أهمها عسقلان ومنهم جاءت تسمية فلسطين التي أصبحت تطلق على الأرض الفلسطينية المعروفة اليوم منذ القرن السادس قبل الميلاد.

امتزج الفلسطينيون بالكنعانيين بسرعة واستعملوا لغتهم وعبدوا آلهتهم (داجون وبعل وعشتار وسيطروا على صناعة وتجارة الحديد ومنه استمدوا قوتهم العسكرية، وقد أسسوا في القرن الثاني عشر قبل الميلاد خمس مدن رئيسة هي غزة وجات وأسدود وعسقلان وأكرون وكانت كل مدينة دويلة مستقلة بذاتها، ومع ذلك كثيرا ما تحالفت هذه المدن لصد العدوان الخارجي، لكنهم اضطروا في عهد الملك تغلات فلاسر الثالث (القرن ٨ق.م) إلى دفع الجزية للأشوريين وذلك حتى دخول الإسكندر المقدوني وتبعية المنطقة بالتالي للرومان.

٢ــ سدوم وعمورة:

سدوم تعني إحراق، ذكرت لأول مرة في التوراة كوصف لحدود أرض كنعان، وبسبب خصوبة أراضيها اختارها لوط مسكناً له، وقد غزاها الملك كدر لعومر مع حلفائه وأخذوا منها السبايا والغنائم إلا أن إبراهيم تصدى لهم وتغلب عليهم واسترد منهم السبايا والغنائم.

يعتقد علماء الآثار أن سدوم تقع تحت لسان البحر الميت، إذا أنها وحسب الكتب المقدسة خربت لفساد أهلها، فصارت مضرباً للمثل في الخطيئة والشر، وتنسب

إليها السدومية أي الشذوذ الجنسي الذي انتشر بين قوم لوط الذين نزلوا سدوم التي أحرقتها نار السماء فلم ينج منهما غير لوط وابنتيه.
عمورة معناها الغرق، وهي بلدة تقع في غور الأردن اقترن أسمها بسدوم، وقد كانت أيضاً مسكناً للوط وقومه، وقد أغرقت المدينتان بماء البحر كما جاء في الأثر.

٣ــ العموريون:

العموريون شعب سامي غربي هاجر من شبه الجزيرة العربية في وقت مبكر إلى بادية الشام وقد أطلق عليهم هذا الاسم سكان العراق الذين أشاروا إلى جهة الغرب بكلمة "أمورو" ومن ثم أصبحت الكلمة تدل على سكان المناطق الغربية بالنسبة إلى العراق. وقد ورد ذكر العموريين في المدونات العراقية في الألف الثالث قبل الميلاد، وهناك دلائل تشير إلى ازدياد عددهم واشتداد خطرهم على بلاد بابل في الألف الثالث قبل الميلاد، منها أن الملك شوسين ملك أور، أقام في حصناً ليحمي البلاد من هجماتهم، وقد كان العموريون في نظر سكان العراق أقواماً بدوية غير مستقرة تتصف بخشونة الطبع، وقد وصفته أسطورة سومرية:
"إن السلاح رفيقه ولا يثني الركبة (لا يخضع).
يأكل اللحم نيئاً
ولا يمتلك بيتاً طوال حياته
ولا يدفن في قبر بعد موته"
لكن تاريخ العموريين في العراق أهم من تاريخهم في الشام، وقد وصفتهم التوراة بأنهم قوم جبابرة، ودارت بينهم وبين الإسرائيليين معارك شديدة انتهت لصالح الإسرائيليين بعد أن هزموا ملكهم سيحون هزيمة نكراء.

٤ــ العرب قبل الإسلام في فلسطين:

يرجع تاريخ وجود العرب في فلسطين إلى الألف الأول قبل الميلاد، وهناك ما يدل على حرب الملك البابلي لهم في فلسطين في الألف الثالث ق.م.

وقد كانت فلسطين ضمن ما عرف بالعرب الحجرية والتي وقعت تحت سيطرة الرومان، وقد قسمت فلسطين إلى ثلاثة أجزاء هي فلسطين الأولى والثانية والثالثة والتي كانت كل منها عبارة عن مدينة مركزية تتبعها بقية المنطقة المحيطة.

وخلال الألف الأول قبل الميلاد تنافس السبأيون والمعينيون على السيادة على الواحات التي تمر بها طرق التجارة، وقد غلبت قبيلة غسان على بلاد الشام كلها فملكها الروم على العرب الموجودين في الشام، وهكذا ارتبطت القبائل العربية بمخططات السياسة الرومانية الفارسية، فقد دفع الرومان إتاوة سنوية لقبيلة ثمود مقابل اعترافها بسلطان الروم.

ظهر الأنباط شرق البحر الميت في القرن السادس ق.م، وقد تدرجوا من الرعي إلى الزراعة ثم إلى التجارة فاتسعت مملكتهم لتشمل جنوب وشرق فلسطين وسواحل البحر الأحمر حتى وصلت إلى دمشق.

أدت الخلافات والصراعات الناتجة عن سياسات بيزنطة وفارس إلى تفتت الكيانات العربية فما أن جاء القرن السابع الميلادي حتى تدهورت أوضاع العرب في بلاد الشام إلى أن جاء الفتح الإسلامي.

ازداد التدفق العربي خلال القرن الثالث الميلادي وازدادت القبائل التي جاءت إلى الشام مثل بني كلب الذين ورثوا مجد الغساسنة، وجاءت قبائل أخرى واستوطنت الرملة وطبريا.

٥ــ الخابيرو:

ظهرت اللفظة في وثائق تعود إلى الألف الثالث قبل الميلاد، وقد كانوا في عصر العمارنة يثيرون الفزع في فلسطين، وقد بعث عبد خيبا ملك القدس رسالة إلى

أخناتون تقول "إن الخابيرو يدمرون كل بـــلاد الملـــك، وانـــصاعت بـــلاد الملـــك للخابيرو".

مازالت هناك مشكلة في تحديد هويتهم، لكن ما عرف عـــنهم يؤكـــد أنهـــم كـــانوا ينزعون إلى تحقيق مكاسب مادية عن طريق النهب والسلب وشن الغـــارات علـــى المجتمعات المستقرة، وفي حال عدم توفر ظرف للسلب والنهب فإنهم يتحولون إلى مرتزقة. وقد يتحولون إلى عمال أو عبيد إذا دفعهم الظرف إلى ذلك، وذلك ما دفع كثير من المؤرخين إلى اعتبارهم طبقة وليس شعباً يشبهون مـــا عـــرف بظـــاهرة الصعاليك في العصر الجاهلي.

٦ــ كنعان:

أطلق اسم كنعان على المنطقة الواقعة بين نهر العاصي شمالاً إلى العريش جنوبـــاً وهي حدود المملكة المصرية القديمة، وضمت المنطقة فلسطين وفينيقية.

وأصل الكنعانيين فيه اختلاف حول كونهم أقوام تـــسللوا بـــين العمـــوريين أوهـــم العموريين أنفسهم أن هذا التسلل تم في القرن ٢١ق.م فيما عرف بحملة الأطـــواق، وقد كان الكنعانيون ساميين دون أدنى شك.

أذعنت كنعان للحكم المصري لترافقه مع استقرار أحوالهم، وذلـــك بعـــد أن شـــن تحتمس الثالث ١٦ حملة على أرض كنعان حتى تمكن من الاستيلاء عليها، ودامت هذه الحال حتى مجيء امنمحتب الرابع أو أخناتون الذي اهتم بالإصلاح الديني دون السياسي فاستغل الحثيون والعموريون هذا الظرف فاحتلوا المنطقة ودمروها، لكـــن الفراعنة تمكنوا من طردهم خلال الأسرة ١٩ في أواخر القرن ١٤ق.م.

في أوائل القرن ١٢ق.م هاجمت أقوام إيجية مصر وأرض كنعـــان مـــن الجنـــوب والشمال واستوطنوا في جنوب فلسطين واندمجوا بالكنعانيين فنشأ بذلك الفينيقيـــون، كما سيطر الفلسطنيون على المناطق الجنوبية واستمروا يحكمونها حتـــى مجـــيء الملك داوود.

أما أهم المدن الكنعانية فكانت جبيل في لبنان ومجدو في فلسطين، أما مجدو فكانت محصنة بسور ذي بوابة مؤلفة من ثلاثة أبواب تلي بعضها وفي داخل السور هناك معبد وقصر، ودفن الكنعانيون موتاهم في قبور منحوتة في الصخر.

تميز العصر الكنعاني بصناعة الخزف الذي كان غاية في الجمال، وابتكروا طلاءه باللون الأحمر كما صقلوه، إضافة إلى أنهم صنعوا تماثيل لجنود بأسلحة إضافة على آلاف الأشكال المصنوعة من مواد مختلفة ابتداء بالذهب وانتهاء بالحجارة.

في العصر البرونزي المتأخر صغرت المدن وأصيب الفن بالتراجع نتيجة الضرائب التي كانت تفرضها مصر على كنعان.

ونتيجة لازدهار التجارة ظهرت الكتابة الأبجدية، وقد استعمل الكنعانيون خمسة أشكال من الكتابة، الهيروغليفية والمسمارية والكتابة الأبجدية والكتابة الجبيلية وكتابة رأس شمرا.

٧ـ الفراعنة:

منذ أقدم العصور زوّد سكان فلسطين الجنوبية المصريين بالأيدي العاملة، وذكر ذلك على حجر بالرمو من عهد الملك جر من ملوك الأسرة الأولى، ووردت في كتابات الأسرة الثالثة أسماء عدد من الحصون منها حصن ونت وهو أول حصن في فلسطين من الناحية الغربية تحت مدينة رفح، كما ظهر في رسومات صقارة معركة بين المصريين والشاسو "بدو فلسطين"، وقد كانت حملة أوني على فلسطين في عهد الملك بيبي الأول آخر ما يعرف عن فلسطين في الدولة القديمة.

بعد أن وحد منتوحتب مصر بداية الأسرة الحادية عشرة (٢١٦٠-٢٠٠٠ق.م)، نشطت حملاته العسكرية التي من أهمها حملته على سورية وفلسطين.

في عهد الأسرة ١٢ ازداد النشاط الدبلوماسي إلى فلسطين وما وراءها كما تدل وثائق تل العمارنة، وفي عهد الدولة الوسطى استوردت مصر الماشية من فلسطين إضافة إلى بعض المنتجات الأسيوية. من جهة أخرى عثر في كل من سوريا

وفلسطين على آثار مصرية بعضها مرفق بنصوص، وكانت هذه الآثار ناتجة عن زيارات شخصية وحروب وبعثات دبلوماسية، فقد عثر على تماثيل وأختام مصرية في فلسطين في مجدو وتل العجول جنوب غزة وجزر وأريحا وتل يمّا غرب بحيرة طبرية وتل الدوير وبلاطة وبيسان، كما أن اللغة المصرية والديانة المصرية والزخرفة المصرية وجدت سبيلها إلى فلسطين.

في عهد الأسرة الثامنة عشرة طارد أحمس الهكسوس إلى جنوب فلسطين، وقام تحتمس الثالث بحملة على فلسطين واستطاع المصريون إخماد ثورة الممالك الفلسطينية في موقعة مجدو (تل التسليم).

في بداية القرن ١٤ ق.م ضغط الحثيون من الشمال وثارت المدن العمورية وضعفت سلطة مصر في فلسطين ولم ترجع إلا في عهد الأسرة ١٩، والتي هاجر أثناء حكمها الإسرائيليون إلى فلسطين (أرض كنعان) إلى شرق وادي عربة والبحر الميت حوالي نهاية القرن ١٤ق.م، على أن بعض المصادر ترجح أن ذلك تم في منتصف القرن ١٣ ق.م.

٨ـ الفرزيون:

ورد ذكر هذا الشعب ضمن الشعوب التي كانت تسكن أرض كنعان قبل الغزو الإسرائيلي، لكن أغلب الباحثين لم يتمكنوا من تحديد هويتهم أو تاريخ قدومهم إلى فلسطين، فقد رجح بعضهم أن الفرزيين لم يكونوا من الشعوب السامية، وبعضهم يربطهم بالشعب الحوري الذي انتشر في الألف الثاني قبل الميلاد في الشرق الأدنى، وكان الفرزيون يشتغلون بالحدادة وربما جاؤوا إلى فلسطين عبيداً، وقد اكتشف اسم "بيزو" الذي قد يكون أصل تسميتهم في مدونات مدينة نوزي الحورية شرق العراق.

بعض المؤرخين يربطون أسمهم بلفظ (بيرازوت) وتعنى المدن غير المسورة على افتراض إقامتهم خارج المدن والقرى لعملهم في الرعي، لكن لم يتوصل الباحثون

إلى أي اكتشاف ما يؤكد ذلك، على أن الشيء الثابت هو أنهم ذكروا في التوراة على أنهم كانوا يعيشون في أرض كنعان عندما قدم إليها إبراهيم الخليل.

٩ــ العبرانيون:

الثابت أن العبرانيين هم نسبة إلى إبراهيم العبري، أما المختلف عليه، فهو سبب تسميته بالعبري، وهناك عدو روايات من ضمنها أنه بسبب عبوره نهر الأردن أو الفرات، أو بسبب اسم أحد أجداده "عيبر".

العبرانيون هم رابع شعب سامي استوطن أرض كنعان بعد العموريين والآراميين والكنعانيين وقد جاؤوا على ثلاث دفعات، أولها من بلاد الرافدين في القرن ١٨ق.م، وثانيه في القرن ١٤ق.م مع الآراميين، وثالثها من مصر بقيادة موسى في القرن ١٣ق.م. اختلط العبرانيون البدو بالكنعانيين والعموريين فنشأ جيل من العبرانيين متحضر، وتعلموا من الأقوام التي سبقتهم الزراعة والقراءة والكتابة. وتحولوا عن لغتهم الآرامية إلى اللغة الكنعانية.

يبدأ تاريخهم بهجرة إبراهيم من بلاد الرافدين إلى فلسطين عن طريق حران حيث أقام مع قبيلته قرب حبرون (الخليل)، ومن بعده أصبح يعقوب زعيماً للعبرانيين وأطلق عليه اسم إسرائيل وأطلق على أخيه اسم أدوم وسكن جبل سعير مع جماعته وعرفوا بالادوميين.

وبرز من أولاد يعقوب يوسف الذي حصل على إذن من فرعون لإقامة أهله في مصر لأجيال كثيرة ثم هاجروا منها إلى فلسطين بقيادة موسى في الثلث الأخير من القرن ١٣ق.م.

بعد عبورهم سيناء، أقاموا فترة في فلسطين وخاضوا حرباً انتصروا فيها على سيحون ملك العموريين وعوج ملك باشان، وسقطت في أيديهم مجموعة من مدن فلسطين مثل أريحا فاستباحوها ثم أحرقوها. واستوطنت قبيلتي يهوذا وبنيامين الأراضي المحيطة بالقدس أما باقي القبائل فقد استوطنت السهول الشمالية.

واستغرقت فترة الاستيطان قرناً كاملاً امتد بين القرنين ١٢،١١ق.م، ويطلق عليها المؤرخون فترة "عصر القضاة"، حيث كان القضاة محاربين أقوياء وحكاماً وطنيين، كان على رأسهم دبورة وباراق وجدعون وشمشون، وقد قادوا العبرانيين في حروبهم ضد الفلسطينيين وانتصروا عليهم، لكن الفلسطينيين كانوا على معرفة بصهر الحديد واستخدامه في الحرب، فازدادت قوتهم، واستطاعوا في القرن ١٢ق.م أن يهزموا العبرانيين، لكن داوود تمكن من التغلب عليهم.

في القرن العاشر قبل الميلاد أنشأ العبرانيون أثناء سيطرتهم على بعض أرجاء فلسطين دولة بطابع ملكي، لكن ملكهم الأول شاؤول هزم في معركة جلبوع أمام الفلسطينيين الذين قتلوا ثلاثة من أولاده وأجبروه على الانتحار، وقطعوا رأسه وسمروا جسده على سور بيسان وأرسلوا سلاحه كغنيمة إلى معبد عشتار لذا فإن داوود (١٠٠٤-٩٦٣ق.م) يعتبر مؤسس الدول الحقيقي، ونجح خلال حكمة في توسيع نفوذ الدولة واعتمد حصن أورشليم كعاصمة لدولته، وبنى فيه معبداً ليهوه، وتعتبر فترة حكمه هي الفترة الذهبية الأولى على المستوى السياسي والأدبي.

وفي عهد سليمان بن داوود (٩٦٣-٩٢٣ق.م) وصلت المملكة العبرانية إلى أوجها، وقامت علاقات مع الصوريين الذين ساهموا في بناء أسطول عبري اختص بتجارة البحر الأحمر.

بعد موت سليمان اجتمع ممثلو القبائل لمبايعة رحبعام بن سليمان، فرد عليهم بقسوة فاتفقوا على عدم مبايعته، وانتخبوا يربعام ملكاً وأطلقوا على مملكتهم اسم إسرائيل واتخذوا شكيم عاصمة، ثم ترزة ثم السامرة، في حين ثبتت قبيلتا يهوذا وبنيامين على الولاء لرحبعام وكونتا مملكة يهوذا وعاصمتها أورشليم وبدأ الصراع بين المملكتين.

أشهر ملوك إسرائيل هو عمري (٨٨٥-٨٧٤ق.م) الذي بني السامرة وجعلها عاصمة ملكه. لكن خليفته آخاب كان ضعيفاً وسمح بعبادة الآلة الفينيقي بعل، مما جعل ياهو أحد ضباطه يثور عليه ويطيح به.

أدى ظهور الملك الأشوري تغلات بلاسر الثالث (٧٤٥-٧٢٧ق.م) إلى الحد من توسع مملكة إسرائيل وقام شلمنصر الخامس وبعده صارغون الثاني بتأديب يوشع آخر ملوك إسرائيل وسبي أفضل رجاله واقتيدوا إلى فارس وتلاشت بذلك مملكة إسرائيل.

أما المملكة الثانية"يهوذا" فقد بقيت إلى أن احتل نبوخذ نصر أورشليم عام ٥٩٧ق.م وقتل الملك المتمرد يهوياقيم [٦٠٨-٥٩٧ق.م] ولكن خليفته ثار بعد أشهر ليعود نبوخذ نصر ويسبي مُلك أورشليم وعين صدقيا ملكاً عليها، لكنه ثار عليه فكانت النهاية إذ هاجم نبوخذ نصر عام ٥٨٦ق م أورشليم ودمرها مع جميع المدن اليهودية وسبي ما لا يقل عن ٥٠ ألفاً إلى بابل بعد أن سمل عيني صدقياً وقتل أولاده أمامه، وأنهى آخر مملكة عبرية في التاريخ.

١٠ــ الحثيون:

هم شعب هندي أوروبي نزح إلى بلاد الأناضول أواخر الألف الثالث قبل الميلاد.

ظهر من الوثائق المصرية علاقة الأسرة ١٨ بالحثيين، وفي الوثائق العراقية كذلك وعلاقتهم بآشور، ويتفق المؤرخون على أنهم هاجروا من أوروبا على دفعات صغيرة إلى الأناضول في هجرة استمرت سنوات طويلة واستقروا في بلاد تسمى "خاتي" وهي التي ذكرت في التوراة باسم "حيث".

يقسم تاريخ الحثيين السياسي إلى ثلاثة عهود:

ــ المملكة القديمة: بدأ هذا العهد سنة ١٨٠٠ق.م، ومن ملوكه حاتوشيليش الذي غزا سوريا لأول مرة، أما مورشيلش فقد أسقط دولة بابل عام ١٦٠٠ق.م.

ــ عهد الإمبراطورية: وهو أعظم عهودهم وحققوا فيه انتصاراتهم التي رفعتهم إلى مستوى الدول العظمى، وبلغت أوج مجدها عام ١٣٧٥-١٣٣٥ ق.م في عهد شوبيلوليوما الذي مد سلطانة إلى سورية.

ـ سقوط الدولة الحثية: عام ١٢٠٠ ق.م سقطت الدولة الحثية فجأة على يد أقـوام بربرية، وحارب الآشوريون ما تبقى من دويلات الحثيين حتى سقطت آخرها على يد صارغون الثاني سنة ٧١١ ق.م وانتهى بذلك تاريخهم.

تواجد الحثيون في فلسطين بأعداد كبيرة وذكر أن النبي إبراهيم اشترى منهم كهفـاً وأن بني إسرائيل تزاوجوا معهم، وتشير المصادر إلى دخولهم فلسطين في القـرن ١٤ ق.م، ولكن جميع الآراء التي وردت عنهم لا تجد ما يدعمها حتى الآن، فهـم مازالوا من غوامض التاريخ فيمنا يخص وجودهم في فلسطين.

دون الحثيون نصوصهم باللغة المسمارية وبخط مشابه للخط الهيروغليفي، وكـانوا يعبدون آلهة متعددة من بلاد الأناضول والعراق، وبرعوا فـي النحـت المجـسم والنقوش.

١١ـ الحوريون:

الحوريون من الشعوب التي ظهرت في الشرق الأدنى في القرن الثالث قبل الميلاد، واضطلعت بدور واضح في حياة المنطقة السياسية والحضارية منذ منتصف الألف الثاني قبل الميلاد. وقد كانوا من الشعوب التي أقامت في فلـسطين قبـل الغـزو الإسرائيلي. أول ما عرف عنهم جاء في رسالة من الملك توشراتا (ملكهـم) إلـى أمنحتب الثالث (١٤١٣-١٣٧٧ ق.م) وقد اكتشف في تل العمارنة (١٨٨٧م) . وفي عام ١٩٠٦م اكتشف الألماني وينكلر طبقة من الآثار الحورية وعثر على عدد مـن النصوص التي ورد فيها اسم "خاري".

بعد استقرارهم في العراق، بدأ الحوريون في الانتشار بين الأناضـول وفلـسطين والبحر المتوسط وجبال زاغروس، وقد أشارت التوراة إليهم والوثـائق المـصرية كذلك. وقد سقطت دولة بابل في تلك الفترة وانحسر النفوذ الحثي وعانت آشور من ضعف شديد، مما أتاح الفرصة لظهور وازدهار الحوريين الذين وصلوا إلى مناطق كثيرة وانضم بعضهم إلى الهكسوس.

استطاعت جماعة من الهنود الأوروبيين فرض سيطرتها على الحوريين لسبب غير واضح، وأقامت دولة عرفت بالدولة المتيانية، وكان يشار إليهم بلقب ماريانا، ومعناه محارب.

وتشير النصوص التي توفرت إلى وجود الحوريين في المنطقة في القرن ١٦ ق.م، على رأس عدد من الإمارات الصغيرة مثل دولة (علالاخ)، وقد دخلوا مع المصريين في حرب طاحنة في قادش، وقد كان حاكم القدس في القرن ١٤ ق.م من الحوريين، وقد تأثر بهم الإسرائيليون وتزاوجوا معهم، حتى أن يعقوب تزوج امرأتين حوريتين، وهما راحيل وليئة، وظهرت بعض آثارهم في القوانين اليهودية، وقال بعض المؤرخين إن الحوريين والعبرانيين عاشوا معاً في العراق قبل أن يأتوا إلى فلسطين وذلك للتشابه الكبير بينهما.

كان الحوريون يتكلمون لغة لا تنتمي لأي من اللغات المعروفة، واستخدموا الخط المسماري العراقي في وثائقهم، أما ديانتهم فعبدوا فيها آلهة متعددة، وكان إلههم الأعظم (كوماري) فيما كان (تيشوب) إله العاصفة أكثر الآلهة شعبية وانتشاراً، وزوجته الإلهة خيباً، وعبد الحوريون كذلك الإلهة مثرا وفارونا وأندرا وعشتار إلهة السومريين.

نقل الحوريون حضارة سومر إلى بلاد الأناضول ونقلوا الحضارة الحثية إلى سورية والعراق، ومازالت "واشوكاني" عاصمة دولتهم التي وردت في آثارهم غير مكتشفة إلى اليوم.

١٢ــ المؤابيون:

شعب سامي نزل منطقة مؤاب شرق الأردن فعرف بها، وتقع بين الصحراء ونهر الأردن والبحر الميت، وهم حسب التوراة من نسل لوط وابنته، وقد ورد اسمهم في التوراة مع العموريين وتشير لغتهم إلى أنهم من الشعوب الكنعانية، أما توقيت أقامتهم في مؤاب فتشير الآثار إلى أنه بين القرنين ١٤، ١٣ق.م، وقد قامت مملكتهم

في فترة فقدت فيها مصر سيطرتها على فلسطين، وبدأت كذلك إمبراطورية الحثيين في الضعف مما هيأ الفرصة للمؤابيين، ووقعت بينهم وبين جيرانهم حروب كثيرة انتصروا في بعضها وهزموا في بعضها، أهمها صراعهم مع العموريين في شمال مملكتهم، وقد أوقع بهم الملك العموري سيحون هزيمة مذلة.

اتصفت علاقتهم بالإسرائيليين بالعداء المطلق بعد أن منع المؤابيون الإسرائيليين من المرور في أراضيهم بعد النزوح، فوقعت بينهم حروب كثيرة انتصر في بدايتها الملك المؤابي عجلون وفرض الضرائب عليهم، لكنه اغتيل فتراجع المؤابيون إلى شرق الأردن، لكنهم عادوا ليستردوا بعض نفوذهم، وهرب إليهم الملك الإسرائيلي داوود فراراً من شاؤول، لكنه عاد وحاربهم ونجح في الاستيلاء على منطقة مؤاب، بعد وفاة سليمان ضعفت الدولة اليهودية فاستعاد المؤابيون استقلالهم ووسعوا حكمهم.

تولي ميشع عرش مملكة مؤاب سنة ٨٧٠ق.م، وكان أقوى ملوكهم وأنجحهم، فأعلن الثورة على إسرائيل واستعاد استقلال بلاده وأعاد بناء المدن التي هدمها الإسرائيليون، وقد عثر على مسلة تعتبر أهم ما عثر عليه من آثار مؤابية فقد بينت لغتهم وفن النحت لديهم.

حدث صراع على الحكم بعد وفاة ميشع عام ٨٤٠ق.م، فهاجمها اليهود والآراميون مما أدى إلى تقلص حدودها وتحولها إلى مملكة غير مؤثرة.

سقطت إسرائيل سنة ٧٢١ق.م بعد هجوم الدولة الآشورية، فاستغل المؤابيون الظرف واستعادوا حكمهم، وتجنبوا حرب الأشوريين، فقدموا الهدايا والجزية لهم فتجنبوا بذلك دمار مملكتهم، فازدهرت الحياة مرة أخرى في مؤاب.

بعد سقوط أشور أصبحت مؤاب تابعة للدولة الكلدانية سنة ٦١٢ق.م، لكنهم وقعوا في خطأ استراتيجي حين ساندوا صدقيا على الدولة البابلية سنة ٥٨٩ق.م، لكنهم تخلوا عن اليهود بمجرد دخول البابليين، فحقد عليهم اليهود لدرجة أن كلمة مؤابي أصبحت مرادفة لكلمة مجرم.

لم يغفر نبوخذ نصر للمؤابيين موقفهم الأول، فغزا مؤاب سنة ٥٨٢ق.م ودمر عدداً من مدنها ونقل بعض سكانها إلى بابل وبذلك وضع نهاية لمملكة مؤاب.
عبد المؤابيون كيموش إله الحرب وقدموا له الضحايا، كما مارسوا الختان، واعتمد اقتصادهم على الزراعة والرعي والتجارة وملكوا الكثير من الحيوانات حتى أن ملكهم ميشع لقب بـ"سيد الشياه".

١٣ـ العمالقة:

ترجع نسبة العمالقة إلى جدهم عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح، ورغم حقد التوراتيين على العمالقة وتشويه صورتهم في التوراة، إلا أنه يستدل من التوراة أن العمالقة كانت لهم مستوطنات في جنوب فلسطين حول مدينة قادش برنيع والبتراء وجبال سعير، وأنهم سيطروا على طرق التجارة إلى إيلات وغزة ومصر، وقد وقفوا في وجه الإسرائيليين الآتين من مصر، وظلوا يحاربونهم من عهد موسى (١٣ق.م) إلى عهد حزقيا أواخر القرن الثامن قبل الميلاد.

١٤ـ اليبوسيون:

قبل احتلال القدس من قبل الملك داوود، عرفت باسم يبوس، وعرف سكانها باسم اليبوسيين، وقد اختلف علماء الأنثروبولوجي اختلافاً حقيقاً حول أصلهم وسنوات قدومهم إلى يبوس.
فرأي يعتقد أنهم ساميون ويرجح دخولهم في الألف الثالث قبل الميلاد، ولكن الذي لا شك فيه وجودهم في القرن ١٥ق.م حسب رسائل تل العمارنة، ولم توجد أدلة على انتشارهم خارج يبوس ويدل هذا على قلة عددهم، ومع ذلك فقد ظلوا يحكمون المدينة لعدة قرون قبل أن يستولي داوود عليها، وقد قاموا الغزو بشدة، وبقي نفوذهم قوياً حتى بعد الاحتلال الإسرائيلي للمدينة بدليل أن داوود نفسه عندما أراد

أن يبني معبداً لشراء الأرض منهم، ولكن يبدو أنهم استعادوا استقلالهم بعد سقوط دولة اليهود عام ٥٨٦ق.م.

١٥ــ الفلسطيون:

الفلسطيون قوم هاجروا من بحر إيجة إلى أرض كنعان، وهم الذين أعطوها اسم "فلسطين"، وقد دفعتهم الفوضى التي سادت مناطق آسيا الصغرى والبلقان في نهاية القرن ١٣ق م إلى البحث عن مناطق آمنة فجاؤوا إلى أرض كنعان.

بمرور السنين تمكن الفلسطيون من استيطان المدن الواقعة بين يافا وغزة ولم يقيموا سوى مدنيتين داخليتين هما اللد وصقلغ أما باقي مدنهم فكانت على الساحل. وقد حافظ الفلسطيون على ثقافتهم فلك يحاولوا الاختلاط بسكان البلاد من العناصر السامية خصوصاً وأنهم جلبوا نساءهم معهم فلم يضطروا للمصاهرة الخارجية، واقتبسوا نظام الحكم الفينيقي وكانت أشدود هي عاصمتهم.

انتصروا على العبرانيين سنة ١٠٥٠ق.م وغنموا منهم تابوت العهد الذي يحوي الوصايا العشر ونسخة التوراة الأصلية وحملوه إلى أشدود، ويعزو المؤرخون انتصار الفلسطينيين إلى تفوقهم في صناعة الأسلحة حتى أن العبرانيين كانوا يصلحون أسلحتهم لدى حدادين فلسطينيين.

تفككت وحدة المدن الفلسطينية فتمكن منهم العبرانيون في عهد الملك داوود، فبدأ بعدها اختلاطهم بالعناصر السامية فلم يعد بالإمكان التمييز بينهم.

١٦ــ الفريسيون:

الفريسيون بالآرامية تعني "المنعزلون" وقد أطلقت على فئة من اليهود اشتركت في ثورة المكابيين وانتسب إليها العلماء والكتبة وجمهرة الشعب، وامتلكت أغلب مقاعد مجلس "السنهدرين، وكان الفريسيون يخالفون الصدوقيين، فهم يقبلون التقاليد المتوارثة عن السلف إضافة إلى تعاليم وأسفار موسى، وكانوا يؤمنون بالملائكة

والروح والقيامة خلافاً للصدوقيين لكنهم كانوا يتمسكون بالمظهر دون الجوهر، وقد وقفوا بشدة ضد دعوة المسيح الذي وصفهم بأنهم "مرشدون عميان".

١٧ــ الحويون:

لم يرد ذكر هذا الشعب في غير التوراة، وبسبب أن التوراة مقتضبة، فإن الكثير من تاريخ هذا الشعب مازال غامضاً، فقد نسبتهم التوراة إلى كنعان، وبالتالي فهم من الشعوب السامية التي استوطنت فلسطين قبل مجيء الإسرائيليين. ويؤيد بعض العلماء مثل سبايزر ويسانده جرنتر أن الحويين اسم محرف عن حووئيا مما يعني أن الحوريين والحويون هما شعب واحد أقام الحويون في شكيم "نابلس" وجبعون، وقد خرجوا على الإجماع الذي قرر الوقوف في وجه الإسرائيليين وتجنبوا الحرب وتقربوا إلى يشوع لئلا يتعرض لهم، فسالمهم يشوع وعفا عفهم ثم بدأ يستخدمهم في جمع الحطب ونقل الماء مما أثار غضب الشعوب الأخرى عليهم، فحاول ملك القدس العموري ضربهم في جبعون لكنهم استنجدوا بيشوع الذي أنجدهم، لكن كل هذه التنازلات التي قدمها الحويون لم تمنع الإسرائيليين من نهب أراضيهم وسلب أغنامهم وسبي نسائهم واختطاف أولادهم كما جاء في سفر التكوين.

١٨ــ الآراميون:

الآراميون مجموعة القبائل ناطقة باللغة الآرامية، وقد جاؤوا من بادية الشام وانتشروا بين بابل وفلسطين.

آرام في الأصل أحد أبناء نوح، وقد نشأت حروب عديدة بين الآراميين واليهود منذ عهد الملك شاؤول [١٠٢٠ق.م] والملك داوود [٩٦٣ق.م] والملك سليمان [٩٢٣ق.م] إلى زمن أحاز ملك يهوذا [٧٢٠ق.م].

ذُكر الآراميون في نقوش آشورية من عهد الملك "تغلات فلاسر الأول" [١١١٥ــ ١٠٧٧ق.م]، وتقول النقوش إن هذا الملك أرغم الآراميين على التراجع إلى ما

وراء الفرات وتعقبهم حتى جبال بشري، ويقول الملك: "لقد حاربت الآراميين ٢٨ مرة، بل اجتزت الفرات مرتين في سنة واحدة، وطردتهم من تدمر في بلاد أمورو وغنمتُ أموالهم وأتيت بها إلى آشور".

وورد ذكرهم في أحد رسائل تل العمارنة [١٣٧٥ق.م] وفي سجلات الملك الآشوري شلمانصر الأول [١٢٧٤ــ ١٢٤٥ق.م].

استقر الآراميون في الجزيرة وبلاد الشام منذ القرن ١١ق.م عند انهيار الإمبراطورية الحثية وضعف مملكة آشور، فاستطاعت القبائل الآرامية أن تجتاز نهر الخابور وتتقدم نحو نهر دجلة، فوصلت إلى نصيبين شمالاً، وبسطت نفوذها في الجنوب، وتمكن زعيمهم "أداد أبال الدين" [١٠٦٧ــ ١٠٤٦ ق.م] من الاستيلاء على عرش بابل بمساعدة الآشوريين كي يبعدوا الآراميين عن آشور.

قام الآراميون بتأسيس عدة ممالك وإمارات في تلك الفترة مثل بيت عدن وأرام النهرين ومملكة فدان أرام، وانتهز الآراميون فرصة ضعف الآشوريين فأقاموا عدة ممالك على أنقاضهم مثل سمأل وبيت أغوشي وحماة وبيت معكة وجشور في شرق الجليل وأرام دمشق وهي أهم الممالك الآرامية وأشهرها، ورغم كل هذه الممالك لم يستطع الآراميون جمع القبائل المتفرقة، فظلت دويلاتهم متنازعة وإن قامت محاولات للتأليف بينها.

استطاع الملك داوود التغلب على الآراميين، لكن ملك دمشق رصين الأول استأنف محاربة الإسرائيليين في عهد سليمان وبسط نفوذه على أكثر الدويلات الآرامية، وبعد موت سليمان قام الملك بن حدد الأول واستغل انقسام العبرانيين وهاجم ملك إسرائيل بالاتفاق مع يهوذا وانتزع أجزاءً من الجليل وجلعاد.

بلغت مملكة أرام دمشق أوجها مع الملك حزائيل [٨٤٢ــ ٧٩٦ ق.م] الذي ضرب الإسرائيليين في جميع أماكنهم وهدد أورشليم، لكن المملكة من بعده أخذت تضعف حتى تمكن تغلات فلاسر الثالث من الاستيلاء على دمشق سنة ٧٣٢ ق.م، وجاء بعده صارغون الثاني فقضى نهائياً على استقلال الآراميين.

كان الآراميون أصلاً من البدو الحفاة، لكنهم عندما أسسوا ممـــالكهم برعـــوا فـــي التجارة التي أكسبتهم مكانةً مرموقة في تاريخ الحضارة، فقـــد ســـيطرت القبائـــل الآرامية على طرق المواصلات بين مناطق الهلال الخصيب، وتنقلت قوافلهم حاملة الأرجوان والمنسوجات والكتان والنحاس والأبنوس والعاج، مما أدى إلـــى زيـــادة ثرواتهم وتحسن علاقاتهم بالشعوب وانتشار لغتهم التي امتازت بـــسهولة كتابتهـــا فأصبحت اللغة السائدة في فلسطين والشرق الأدنى.

لم يكن للآراميين ديانة خاصة بهم، فكانوا يعبدون آلهة سومرية وأكاديـــة وحثيـــة وكنعانية وفينيقية وغيرها، غير أن أكبر آلهتهم كان الإله "حدد" وكان أكبر معابـــده في منبج شمال سورية.

عُبدت مع "حدد" زوجته "آتارغاتيس" إلهة الخصب والأمومة، وقد عبـــدها اليونـــان والرومان و أسموها "الربة السورية"، كما عبد الآراميون كذلك الإله سين إله القمر عند البابليين كما عبدوا الإله الآشوري "شمس" و"رشف" إله الحرب الفينيقي، وكذلك آلهة الكنعانيين إيل وبعل وبعل شمين.

وما ينطبق على الديانات ينطبق على الفنون أيضا، إذ اتبعوا تقاليد الشعوب الأخرى دون أن يكون لهم فنهم الخاص، لذا لم يبلغوا مستوى الأصالة في الفن.

١٩ــ المِدْيَنِيّونْ:

ورد ذكرهم في القرآن الكريم في قصتي موسى وشعيب، وتذكر التوراة أن مـــدين هو أحد أبناء إبراهيم الخليل من زوجته قطورة، وتذكر أن قوم مدين هم من سحب يوسف من الجب.

تحالف المدينيون مع المؤابيين ضد الإسرائيليين، فحقد الأخيرون عليهم، وحاربوهم وانتصروا عليهم بقيادة النبي موسى، وقتلوا ملوكهم الخمسة وسبوا النساء والأطفال ونهبوا المواشي وأحرقوا المدن.

تحالف المدينيون مع العمالقة وقاموا بعدة هجمات على أطراف دولتهم مما أزعج الإسرائيليين كثيراً فقام جدعون بن يواش بمباغتة المدينيين وحلفائهم في وادي زرعين وأسر ملكين من مدين وقام بقتلهما والتمثيل بهما، ولم يعد لهم بعد ذلك من شأن.

٢٠ــ الناموسيون:

يطلق على شريعة موسى الطقسية والأدبية "الناموس" ويطلق لقب الناموسيين على مفسري الناموس، وهم كتبة نظموا أنفسهم وتوارثوا المهنة، وفي عهد المسيح أصبح لهم مقاماً كبيراً، والمعلم منهم هو "الحبر" أو "الرب".

اعتاد الناموسيون خلق مناقشات سفسطائية لا طائل منها، لكنهم كانوا أصحاب القول الفصل في مسائل الزواج والطلاق والصيام والصلاة وحرمة السبت وما إلى ذلك، وقد تعددت مدارسهم بين مدرسة هليل المتسامحة إلى مدرسة شماي المتشددة، توعدهم المسيح بالويلات لتمسكهم بحرفية الشريعة لا بروحها.

٢١ــ الجرجاشيون:

قوم من الساميين من سلالة كنعان، ويعتقد أنهم أقاموا في الجبال المحيطة بالقدس، وقد حاولوا الوقوف في وجه الغزو الإسرائيلي، إلا أنهم وقعوا تحت نفوذهم وسلبت أراضيهم.

٢٢ــ آرام معكة:

دويلة أرامية صغيرة تقع شمال شرق بحيرة الحولة، وقد مثلت أقصى امتداد سياسي للآراميين، جنوباً، ارتبط سكانها بسكان جشور حتى أن "تاملي" ملك جشور أطلق على ابنته اسم معكة وهي إحدى زوجات الملك داوود.

ذكرت معكة في التوراة عدة مرات، وورد عنها وقوفها مع العمونيين والآراميين في حروبهم ضد الملك داوود، وكانت تمدهم بالخيل والعربات، لأن ما ورد في التاريخ يفيد بأن العمونيين أرسلوا لمعكة ألف قنطار من الفضة ثمنا للخيول والعربات التي قدمتها لهم في الحرب، وقعت معكة تحت حكم الملك داوود بعد انتصاره على الآراميين.

٢٣ــ الرفائيون:

قوم من الكنعانيين استوطن منطقة (باشان) شرق الأردن قبل الغزو الإسرائيلي، وقد أقاموا في البلاد زمن هجرة إبراهيم الخليل.

وتشير المصادر الاوغاريتية والفينيقية إليهم، وقد اشتهروا في التوراة بضخامة أجسادهم مما جعلهم من بين العمالقة. وأشهر ملوكهم "عوج" ملك باشان، وفي أيامه كان الرفائيون من أشد أعداء قوم موسى، فقد أعلنوا الحرب عليهم لمنعهم من المرور بمناطقهم، لكن الإسرائيليين انتصروا عليهم وطردوهم من موطنهم.

تدل الإشارات على تمتع الرفائيين بمنزله روحية خاصة بين الشعوب، فكان لفظ رفائي يدل على كلمة "روح"، وقد دعا ملك صيدا قائلا: "إن كل من يلحق الدمار بقبري لن يكون له مكان مع الرفائيين"، وفي الأوغاريتية "رفوم" تعنى شخص ذو طبيعة إلهية.

٢٤ــ الفينيقيون:

هم الأقوام السامية التي سكنت الساحل الشرقي الجنوبي من المتوسط، وقد سماهم اليونانيون الفينيقيين منذ القرن ١٢ق م وقد كانوا يعرفون قبلها بالكنعانيين.

أما تركيبتهم فهي مزيج من الكنعانيين والقبائل التي هاجرت من بحر ايجة، وقد أقام الفينيقيون منذ منتصف القرن ١٢ق.م عدة مدن مثل بيروت وأرواد وجبيل وصيدا

وصور، وبدأت بالتبادل التجاري مع اليونان وشمال أفريقية، وقد كانوا يفضلون التجارة على الحرب.

في سنة ٨٥٣ق.م جرت معركة قرقر بين الفينيق وآشور انتصر فيها الأشوريين وفرضوا الجزية على المدن الفينيقية، لكنها وقعت تحت حكم البابليين بعد انتصارهم على الأشوريين سنة ٦٠٥ق.م على يد نبوخذ نصر. وعادت لتصبح تحت حكم آخر بعد انتصار الفرس على البابليين سنة ٥٣٨ق.م.

ولما جاء الاسكندر سنة ٣٣٣ق.م تمتعت المدن الفينيقية بنوع من الاستقلال الذاتي لكنها بدأت بالتأثر بالحضارة الهلينية على الأخص في علم الهندسة، وبعد ذلك استمر حكم البطالمة حتى جاء السلوقيون عام ١٩٨ق.م فأصبحت المدن الفينيقية تابعة للسلوقيين، لكنها بدأت بالاستقلال تدريجياً حتى عام ٦٤ق.م حينما أخضعها القائد بومبيوس للحكم الروماني.

عبد الفينيقيون عدداً كبيراً من الآلهة مثل بعلة جبيل وبعل رشف أدونيس وأشمون أدورنيس وملقارت وبعل إيم، لكن عشتاروت كانت تعبد في جميع المدن الفينيقية، وقد انتشت الديانة المسيحية في مدن فينيقية منذ نشأتها.

اعتنى الفينيقيون بموتاهم، فقد كانوا يضعون المأكولات والمشروبات في أوان خزفية داخل القبر ويدفنون مع الميت أغلب ممتلكاته وبعض المسكوكات. زالت الشخصية الفينيقية بعد الفتح العربي وأصبحت جزءاً من الوطن العربي.

٢٥ــ الأخمينيون:

شعب آري هاجر إلى إيران في بداية القرن العاشر قبل الميلاد، واستقر في منطقة بارسوا التي حرّفت إلى فارس فيما بعد.

سنة ٥٥٩ق.م تولى العرش كورش الثاني أحد ملوكهم، فحوّل الدولة إلى إمبراطورية شاسعة ضمت فلسطين بين أطرافها.

سمح كورش لليهود بالعودة من بابل إلى فلسطين، وهذا سبب مدح المصادر اليهودية للأخمينيين والدعاية لهم، وسمح لهم كورش كذلك بإعادة بناء هيكلهم الذي دمره نبوخذ نصّر.

برع الأخمينيون في التنظيمات الإدارية واقتبسوا من حضارات الشعوب الأخرى، فأخذوا الخط المسماري ثم الخط الهجائي الآرامي واستعملوا المسكوكات، وفي عهدهم انتشرت الديانة الزردشتية إلى جانب ديانتهم الوثنية الأصلية.

سقطت الدولة الأخمينية على يد الإسكندر المقدوني عام ٣٣٠ق.م.

٢٦ــ الأيدوميون:

هم من سكان فلسطين الأصليين استوطنوا جنوبي البحر الميت، وهم من أصول عبرانية وعربية. وأطلق على المنطقة اسم أيدوم ومنها أخذ القوم أسمهم، ويعتقد أنها سعير حالياً في قضاء الخليل، وحسب التوراة فإن هذه الجماعة تنسب إلى أيدوم أي الأحمر بالعبرية، كما يسمى الايدوميون بالعماليق وايدوم هو الاسم الثاني لعيسو بن اسحق والأيدوميون هم من نسل أيدوم.

يعتبر تاريخ الايدوميين السياسي من أغمض التواريخ للأقوام التي استوطنت فلسطين، وأول ما ورد عنهم كان قصة موسى حين أرسل وهو في طريقة من مصر إلى فلسطين رسولاً ليفاوض ملك الايدوميين للسماح للعبرانيين بالمرور من أراضيه، ورفض الملك الايدومي وهدد بقتالهم، فاضطر موسى لاتخاذ طريق أطول للوصول إلى أريحا.

وبعدما اشتد ساعد العبرانيين (١٠٠٤ ق.م) أخضعوا الايدوميين لسلطانهم، وفي أواخر حكم سليمان (٩٢٣ ق.م) تحررت آدوم من السيطرة العبرانية.

لكن ذلك لم يمنع العلاقات الحسنة بين الشعبين حتى أن يهورام ملك إسرائيل استعان بالايدوميين كي يقوم بحملته ضد المؤابيين (٨٤٢ق.م)، وفي عهود بعض ملوك يهوذا ساءت العلاقات، فثأر الايدوميون من ملك يهوذا يورام بن يهوشافاط فقام

خليفته أمصيا بن يؤاش (٧٩٥-٧٨٦ق.م) بحملة هزم فيها الايدوميين واستولى ابنه عزريا على مدينة أيلة على خليج العقبة.

انتقل الايدميون إلى مرحلة صد العدوان عن أراضيهم فيما بعد، لكن يبدو أنهم لم يتمكنوا من السيطرة طويلاً على فلسطين الجنوبية، فاضطروا لرفع الجزية للأشوريين، وخلال فترة سبي بابل قام الأيدوميون بالتوسع في فلسطين الجنوبية واستولوا على أقسام من يهودا.

خضع الايدوميون للسيطرة اليهودية في القرن الثاني قبل الميلاد، وأخضعوا للديانة اليهودية بالسيف. عندما استولى الرومان على سورية في منتصف القرن الأول قبل الميلاد، سميت المنطقة الجنوبية من فلسطين ايدومية، وتذكر المصادر أن الايدوميين لم يخلفوا معالم حضارة وراءهم.

٢٧ــ آشور:

ما يعنينا هنا من مملكة الأشوريين هي علاقتها بفلسطين، فأول ملك آشوري ذكر فلسطين كان الملك أداد نيراري الثالث "٨٠٥-٧٧٢ق.م".

قام تغلات بلاسر الثالث "٧٤٧ ق.م" بغزو مدن فلسطين فانتصر على ملك غزة واحتل عمون وآدوم ومؤاب ويهودا، ودفع له مناحيم ملك إسرائيل ألف قنطار من الفضة كجزية.

أطلق تغلات بلاسر الثالث على إسرائيل اسم بيت عومري، وكان له نصيب من الأحداث في فلسطين، فقد استعان به أحاز ملك يهوذا لحمايته من (فقح) و(رصين) ملكي إسرائيل ودمشق، فحاربهما تغلات بلاسر الثالث وخلع فقح عن العرش ووضع هوشع ملكاً ولكن الثمن الذي دفعه أحاز كان سبباً لانهيار اقتصاد يهودا فيما بعد.

حوصرت السامرة في عهد شلمانصر الخامس "٧٢٦-٧٢٢ق.م" وسقطت على يد الملك صارغون الثاني ٧٢١-٧٠٥ ق.م، فانهارت بسقوطها دولة إسرائيل.

حارب صارغون المدن الفلسطينية التي أعلنت العصيان عليه، وتجددت الاضطرابات في عهد ابنه سنحاريب ٧٠٤-٦٨١ق.م، وثار نبلاء عكرة على ملكهم الموالي للأشوريين، وسلموه إلى حزقيا ملك يهودا الذي ثار اعتماداً على تأييد مصر له. فغزا سنحاريب المدن الفلسطينية وانتصر على الجيش المصري الذي ناصرها، وحاصر القدس، لكن أهلها أمطروه بالهدايا الثمينة ففك الحصار عنها.

الملك أسرحدون رأي أن فلسطين لن تهدأ إلا إذا وضع حد للتدخل المصري، فغزا مصر وأسقط الحكم الحبشي فيها (٦٨٠-٦٦٩ق.م). وتوقف التدخل المصري في فلسطين حتى نهاية الدولة الآشورية. وكان آشور بانيبال آخر ملك آشوري قوي غزا فلسطين وانتصر على يهودا وأدوم ومؤاب وغزة وعسقلان.

بدأت علاقة الآشوريين بفلسطين في القرن التاسع قبل الميلاد وانتهت عام ٦٢٥ق.م، وفي هذه الفترة أسقط الآشوريون دولة إسرائيل وتركوا يهودا ضعيفة لتسقط على يد نبوخذ نصر الكلداني.

٢٨ــ السامريون:

جماعة من اليهود اشتق أسمهم من السامرة عاصمة إسرائيل القديمة "شمال شكيم" نابلس. وهم ما تبقى من المملكة القديمة والذين لم يرحلهم الآشوريون عام ٧٢١ق.م، وحين عاد اليهود من السبي البابلي رفضوا إشراك السامريين في إعادة بناء الهيكل لأنهم تزوجوا مع المستوطنين الذين جاء بهم الآشوريون، فقام السامريون بإنشاء هيكلهم الخاص على قاعدة جبل جرزيم "الطور".

هناك هوة عميقة تفصل السامريين عن اليهود، فهم لا يؤمنون إلا بأسفار موسى الخمسة ولا يعترفون بالأنبياء اليهود ولا بالكتب السماوية الأخرى ويعتبرونها من صنع البشر، وقد سن اليهود قوانين تحرم الاختلاط بالسامريين أو الزواج منهم. وتعد طائفتهم الآن من أصغر الطوائف في العالم يسكن أكثرهم في نابلس

ومستعمرة حولون، يستعملون العبرية في صلواتهم لكن لغة الحديث فيما بينهم هي العربية، وفي حوزتهم ترجمة عربية للتوراة تعود إلى القرن ١١ ميلادي.
وبحكم تكوينهم الديني فهم ليسوا صهاينة، فلا يعترفون بقدسية جبل صهيون فجبلهم المقدس هو جبل الطور (جرزيم). كما لا يؤمنون بداوود وسليمان، ويؤمنون بعودة المسيح المخلص، ولكن إلى جبل جرزيم لا إلى جبل صهيون.

٢٩ــ الهكسوس:

حكام آسيويون حكموا مصر من [١٧٣٠ــ١٥٦٠ق.م]، وقد أطلق عليهم هذا الاسم المؤرخ المصري مانيثون في عهد البطالمة، وقد قال: "جاء الهكسوس من آسيا واستولوا على مصر دون قتال وأسروا زعماء البلاد وأحرقوا المدن وهدموا معابد الآلهة وقتلوا كثيرا من السكان واستعبدوا النساء والأطفال".
وكلمة هكسوس تعني الملوك الرعاة، وفي تفسير آخر ملوك البلاد الغربية، وتؤكد الشواهد التاريخية أن الهكسوس كانوا خليطاً من عدة أقوام سامية وعربية وعمورية وكنعانية وقد بدأت المسألة بتسلل مجموعات صغيرة منهم إلى وادي النيل طلباً للرزق، وكانت مصر في حالة فوضى بعد انهيار الأسرة ١٢، فاستفاد الهكسوس واستولوا على الدلتا الشرقية وأعادوا بناء معبد سيت عام ١٧٢٠ق.م، على عكس ما يدعيه ماثينون من تخريب.
تعاقب على حكم مصر عدة ملوك من الهكسوس اشتهر منهم الملك خيان الذي استمر في الحكم خمسين عاماً.
في عهد الهكسوس اتحدت مصر وفلسطين وسوريا، ونشأت علاقات تجارية وثقافية مع بلاد الشرق الأدنى، وفي عهدهم انتشرت الخيول واستعمال البرونز والأقواس، كما أخذ المصريون عنهم طريقة السقاية بالشادوف وطرقاً جديدة في النسيج وبعض الآلات الموسيقية.

استطاع أحمس الأول (١٥٧٠-١٥٤٦ق.م) إخراج الهكسوس من مصر وطاردهم حتى دخل تل الفارعة في فلسطين في وادي غزة بعد حصار دام ٣ سنوات.

٣٠ـ قبيلة قيدار:

قيدار هو الابن الثاني لإسماعيل ومعناه قدير أو أسود، وهو اسم قبيلة عربية استوطنت جنوبي الشام، وقد وصفتهم التوراة بأنهم رعاة يستوطنون قرى غير مسورة، وقد عبدوا الأصنام نفسها التي عبدها العرب قبل الإسلام، وقد اشتهر محاربوها برمي السهام، وقد أصبح لهم ملك ومركز مهم في الشرق القديم في فلسطين وجنوب سوريا، وقد حاول ملك من ملوكهم هو أمولاري مهاجمة النفوذ الأشوري في فلسطين وسوريا لكنه هزم أمام أشور بانيبال في القرن السابع ق.م، مما جعل القيداريين يتحالفون مع الأنباط، لكن نبوخذ نصر أخضعهم في القرن السادس ق.م، على أن أعظم ملوكهم على الإطلاق كان جشم العربي الذي استطاع في القرن الخامس قبل الميلاد أن يمد نفوذ هذه القبيلة من شرق مصر حتى الأردن بما في ذلك فلسطين ذاتها.

٣١ـ العصر الهلينستي:

الفترة التي تقع بين وفاة الإسكندر عام ٣٢٣ ق.م وقيام الإمبراطورية الرومانية عام ٣٠ق.م تعرف تاريخياً باسم العصر الهلينستي تمييزاً لها عن العصر الإغريقي.
بعد خلاف ورثة الإسكندر، جاءت فلسطين ضمن حكم بطليموس (٣٦٧-٢٨٣ق.م)، فيما سيطر سلوقس على آسيا الغربية، وقد تميز العصر الهلنستي بالنزاعات بين السلوقيين والبطالمة حول امتلاك سورية المجوفة التي كانت فلسطين من ضمنها، وقد سيطر عليها البطالمة من ٣٠٢ق.م إلى ١٩٨ ق.م حيث تمكن السلوقيون من استعادتها.

استمرت سيطرة السلوقيين على فلسطين حتى عام ٦٤ق. م حيث دخلت مع الأراضي السورية تحت حماية الرومان.

فيما يخص الفترة التي وقعت فيها فلسطين تحت الحكم البطليمي، دأب البطالمة على التقرب من اليهود، حتى أن يطليموس الأول خصص أحد أحياء الإسكندرية لليهود ونقل إليه أفواجاً من يهود فلسطين، وزاد توافد اليهود في عهد بطليموس الثاني الذي افتدى أسراهم من ماله الخاص وأهدى الهدايا الثمينة لمعبدهم في بيت المقدس، كما أنزلهم في الأراضي المستصلحة.

أما تحت الحكم السلوقي، فقد تودد ملكهم أنطيوخس الثالث إلى المدن الفلسطينية كي تؤيده في نزاعه مع البطالمة، فانقسمت مدن فلسطين بين مؤيده للسلوقيين ومؤيدة للبطالمة.

وأرسل أنطيوخس الرابع أحد قادته عام ١٦٧ق.م وكلفه بإلغاء الطقوس الدينية اليهودية والاستعاضة عنها بالإله زيوس الإغريقي فوق المذبح المقدس، وحول معبد يهوه فوق جبل جزيم إلى معبد زيوس وحرم الختان واقتناء الأسفار المقدسة وأوجب أكل لحم الخنزير، ونتيجة لهذا انقسم اليهود إلى قسمين، قسم تخلي مرغماً عن الشريعة وهم (المتأغرقرن) وقسم هرب خارج المدينة المقدسة وأطلق عليهم "حزب القديسين" ووضعوا (ماتاتيه) لقيادتهم، الذي مات بعد فترة قصيرة فاستلم القيادة بدلاً منه ابنه يهوذا الذي لقب بالمكابي (المطرقة)، وقد حقق يهوذا نجاحاً في التصدي للقوات السلوقية مما جعل كثيراً من المترددين اليهود ينضمون إليه، وفي عام ١٦٦ق.م حقق المكابي نصراً في معركة (عقبة بين حورون) على القائد ابولونيوس، وحقق نصراً آخر عام ١٦٥ق.م على القائدين نيكانور وجورجياس مما دفع أنطيوخس الذي كان في حملة أخرى إلى الاستجابة لمطالب المكابيين فأوقف الاضطهاد فعاد المكابيون إلى بيت المقدس وإلى ممارسة شعائرهم الدينية في ١٢/٢٥ عام ١٦٤ ق.م، وهو العيد الذي يحتفل به اليهود إلى اليوم تحت اسم "حانوكاه" عيد الأنوار.

بعد وفاة أنطيوخس الرابع قام القائد لوسياس بهزيمة المكابيين في معركة بيت زكريا قرب بيت صور، وقتل في المعركة اليعازر شقيق المكابي، وقام لوسياس بتعيين كاهن جديد يدعي إلياكيم، لكن المكابيين خلعوه ووقعوا معاهدة مع روما تعهدت لهم فيها بمد يد العون لهم في حال تعرضوا لهجوم.

قام القائد ديمتريوس بتجريد حملة عام ١٦١ق.م لكن المكابين هزموها عند الرها، فجرد حملة ثانية بقيادة باكخيدس حققت نصراً على المكابي في (لاشع) وقتل المكابي نفسه وفر أصحابه عبر الأردن.

تزعم يوناثان شقيق يهوذا المكابين، وعرض عليه صلحاً شرط ألا يقيم داخل أسوار بيت المقدس، فوافق يوناثان، لكنه بعد وفاة الكاهن الأعظم اغتصب الكهانة وقام بتأسيس إمارة مستقلة بزعامته.

بعد ذلك استعان بطليموس سراً بيوناثان وقدم إلى فلسطين وبعد معركة قتل فيها بطليموس تسلم ديمتريوس الثاني الحكم وأطلق يد قائد مرتزقته في القضاء على المعارضة. استغل يوناثان النزاع بين ديمتريوس وبالاس (حليف الرومان) وضرب حصاراً على القلعة في عكا، ونجح بالهدايا والأموال في استمالة الملك الذي تغاضي عن توسع المكابيين شمال فلسطين، وعندما حدثت ثورة داخلية في أنطاكية نتيجة النقمة على مرتزقة ديمتريوس، استنجد ديمتريوس بيوناثان الذي أمده بمقاتلين شرسين قضوا على ما يقارب مئة ألف من سكان أنطاكية وضواحيها، وفي عام ١٤٣ق.م أعلن ابن بالاس ملكاً باسم أنطيوخس السادس وانقسمت مملكة السلوقيين إلى قسمين، سوريا الداخلية تحت حكم أنطيوخس وسوريا الساحلية تحت حكم ديمتريوس. انقلب المكابيون على ديمتريوس وأبدوا أنطيوخس واستغلوا ثقته وبدأوا في التوسع واتصلوا بالرومان للحصول على اعتراف بتوسعاتهم، فقام وزير انطيوخس (ديودوتس) بتجهيز حملة وصلت إلى سكيثوبولس (بيسان) وقام بالفتك بيوناثان ومعظم رجاله المكابين. بعد نجاح ديودوتس قام باغتيال انطيوخس وأعلن نفسه ملكاً باسم تروفون، مما أطمع بقية المكابين، فعرضوا تأييدهم على دمتريوس

الذي قبل وأعفاهم من الضرائب، لكنه أسر في معركة ضد البارثيين، وقام أخيه الأصغر أنطيوخس السابع بالزواج من زوجة أخيه كليوباترا وأعلن نفسه ملكاً، وقتل تروفون. فطلب أنطيوخس من سمعان المكابي دفع الجزية، لكن قواته لم تتمكن من جباية الجزية إلا بعد ٣ سنوات وبعد أن شارك انطيوخس نفسه في حصار بيت المقدس حيث سقطت في قبضته عام ١٣٢ ق.م.

وفي عهد هركانوس مد المكابيون نفوذهم إلى معظم فلسطين جنوب الكرمل، وقام خليفته عام ١٠٣ق.م بإجبار سكان الجليل بالسيف على اعتناق اليهودية، وقام بعده يانايوس بحصار عكا التي استنجدت ببطليموس التاسع حيث أوقع باليهود هزيمة منكرة في موقعه أسينون، لكن يانايوس تمكن من إعادة تأسيس دولته، وهو أول من لقب بالملك في اليهودية، لكن مظاهر الملوكية لم تعجب شعبه الذي استعان بملك دمشق السلوقي ديمتريوس الثالث فأنجدهم عام ٨٧ق.م ففر يانايوس من بيت المقدس فزال بذلك أي ذكر لحركة سياسية هامة في فلسطين حتى نهاية العصر الهلنستي عام ٦٤ق.م.

٣٢ــ السلوقيون:

لقي برديكاس خليفة الإسكندر المقدوني مصرعه على أيدي الولاة الذين تحالفوا عليه عام ٣٢١ق.م وعلى أثر ذلك عقد مؤتمر تريبار أديسوس لإعادة توزيع ولايات الإمبراطورية بين المنتصرين. ومن هذه القسمة بدأ نجم السلوقيين في الظهور حين عين سلوقس والياً على بابل.

غزا انتيغوس جوف سوريا فاستنجد سلوقس ببطليموس الذي انجده وأعاده للحكم بعد انتصاره في معركة غزة عام ٣١٢ق.م.

حاول انتيغوس أن يعيد لحمة إمبراطورية الاسكندر، فتحالف عليه بطليموس وليسماخوس سلوقس وكاسندروس وهزموه ولقي حتفه عام ٣٠٢ق.م، وفر ابنه ديمتريوس، وقسم المنتصرون الغنائم فكانت سوريا من نصيب سلوقس الأول.

بعد وفاة أنطيوخوس الثاني عام ٢٤٦ق.م توفي بطليموس الثالث فاشتعلت الحرب مع بطليموس الرابع، وانتصر البطالمة على السلوقيين عند رفح عام ٢١١ق.م، واسترد انطيوخوس الثالث القدس بعد انتصاره على البطالمة سنة ٢٠٣ق.م. اشتعلت بعد ذلك حرب بين انطيوخوس واليهود بانتصار خليفته الملك ديمتريوس على اليهود وقتل يهودا المكابي عام ١٦٠ق.م، لكن زعيم المكابيين يوناثان سعي للتقرب من السلوقيين عكس سلفه.

٣٣ــ البطالمة:

تاريخ البطالمة طويل، إلا أننا هنا سنتناول ما يخص تفاعلهم مع فلسطين.
توزعت إمبراطورية الإسكندر على قادته، فاستولي والي مصر بطليموس (٣٦٤-٢٨٢ ق.م) على فينيقية (فلسطين) لتوسيع نفوذ ولايته (٣١٩ ق.م)، وقد حارب بلطيموس أنتيغوس في غزة وانتصر عليه (٣١٥ ق.م) وأعاد ولاية سورية إلى عاملة سلوقس، وحارب انتيغوس سنة ٣٠١ ق.م في معركة ابسوس وقتله.
بقيت فلسطين في قبضة البطالمة حتى هزمهم الملك السلوقي أنطيخيوس الثالث هزيمة حاسمة في معركة سانيون (٢٠٠ ق.م) ثم استولوا على صيدا وبيت المقدس وفلسطين كلها ففقد البطالمة هذه المنطقة نهائياً (١٩٨ ق.م).

٣٤ــ قبيلة ثمود:

قبيلة من العرب البائدة يعود نسبها إلى ثمود جائر بن إرم بن سام بن نوح، ويرى أغلب المفسرين أنهم سكنوا وادي القرى بين المدينة والشام، وبيوتهم منحوتة في الجبال، ويرجع تاريخهم إلى ما قبل الميلاد، فقد أجلاهم الملك الأشوري صارغون الثاني إلى السامرة في فلسطين وهذا أقدم ما يعرف عنهم.
ورد أسمهم في موضع كثيرة في القرآن الكريم، وقد اكتشف علماء الآثار مجموعة من النصوص الثمودية يعود بعضها إلى ما قبل الميلاد، وبعضها إلى ما بعد

الميلاد، من بينها نصوص تدل على معرفتهم بالمسيحية وتعد أقدم الإشارات الدالة على وجود المسيحية في شمال الجزيرة، وقد زرعوا الأرض ورعوا الماشية واشتغلوا بالتجارة، ويبدو أنهم أصيبوا بكارثة هائلة مثل زلزال أو بركان.
وتؤكد المصادر التاريخية إقامتهم جنوب البحر الميت، وهناك أيضاً حدثت قصتهم الشهيرة مع النبي صالح وعقرهم لناقته.

٣٥ــ اليطوريون:

قبيلة تتكلم الآرامية سكنت بين اللجاة والجليل، وترجع التوراة نسبهم إلى يطور بن إسماعيل بن إبراهيم الخليل، كما أشارت التوراة إلى حربهم بني إسرائيل أيام الملك شاؤول – طالوت.
يذكر يوسيفيوس المؤرخ أنهم عاشوا في الجليل شمال فلسطين في القرن الثاني قبل الميلاد ،أن الملك اليهودي أرسطوبولوس الأول غزاهم عام ١٠٤ق.م وأرغم بعضهم على اعتناق اليهودية امتاز اليطوريون بالرماية وتأثروا بالحضارة الهلينية، وأنشأ منهم ماركوس أنطونيوس حرساً خاصاً كي يحتويهم، لكنهم تحرروا فقتل ملكهم ليسانياس بن بطليموس وأعطى جزءاً من مملكته لصديقته كليوباترا.
تولي الإمبراطور أوغسطس السلطة فضم ما بقي من مملكة ايطوريا بعد موت ملكها زندورس سنة ٢٠ق.م وبذلك انتهى عهد اليطوريين.

٣٦ــ الأسينيون:

هي فرقة المغتسلين أو الأطهار، وهي فرقة يهودية ظهرت في فلسطين في القرن الثاني ق.م. كان لهذه الجماعة قوانين صارمة تحرم الملكية الفردية ونظام الرق (الذي كان سائداً حينها)، يعيش أفرادها خارج المدن حياة العزاب الزاهدين، يقيمون في الكهوف قرب البحر الميت، يفرضون على أنفسهم الاغتسال كل صباح في مياه

الينابيع، كانوا يفلحون الأرض ويرعون الماشية، ويتشاركون الطعام بطقوس خاصة، وكانوا يرفضون تأدية القسم وتقديم الذبائح وحضور المراسم في الهيكل.
من الواضح أن آراءهم كان لها تأثير كبير في المسيحية، وقد آمنوا بالمسيح على أنه أحد أنبياء إسرائيل المصلحين، لكنهم رفضوا دعوة بولس الرسول وظلوا متمسكين بالعقيدة اليهودية. وعرفوا بعد دمار الهيكل باسم "المسيحيين اليهود أو الأبيونيين".

٣٧ــ الأنباط:

يجمع الباحثون على أن أصل الأنباط عربي ثابت، بدليل مواطنهم "العربية الحجرية" واللغة العربية التي تظهر في كتاباتهم بالآرامية. إضافة إلى أسماء أعلامهم (الحارث، عبادة، مالك، ..الخ) كما أن أسماء آلهتهم تدل على عروبيتهم (اللات، العزى، مناة، ذو الشرى، هبل).
قدم الأنباط من جنوب الجزيرة واستقروا في الحجاز في القرن السادس قبل الميلاد، وامتدت مملكتهم من الحجاز إلى البحر المتوسط، وكانت البتراء أعظم مدنهم على الإطلاق.

ويقسم تاريخ الأنباط السياسي إلى قسمين:

ــ الفترة الهلينستية: وتبدأ من أيام البطالة وتنتهي عام ٦٤ق.م، حيث احتل الرومان جنوب سوريا، ومن ملوك الأنباط في هذه الفترة الحارث الأول والحارث الثاني وعبادة الأول والحارث الثالث، وفي هذه الفترة اصطدم الأنباط باليهود المكابيين الذين احتلوا غزة التي كانت ميناء هاماً، وقد هزم ملكهم عبادة الأول عام ٩٣ق.م الملك اليهودي اسكندر جانوس، كما هزم عبادة الأول السلوقيين بقيادة انطيخيوس الثاني عشر في النقب عام ٨٥ق.م، وقد حاصر الحارث الثالث القدس.
ــ الفترة الرومانية: تمكن الرومان في هذه الفترة من هزيمة الأنباط وإجبارهم على فك حصار القدس، ودار النزاع في هذه الفترة بين الأنباط وهيرود انتيباس الذي

نصبه الرومان ملكاً على اليهود لكنه لم يكن يهودياً، ومن أبرز ملوك الفترة الرومانية الحارث الرابع (٨ق.م ــ ٤٠م) والذي يعد عصره أطول عصور الأنباط وأزهاها، وانتهت مملكة الأنباط سياسياً في ١٠٦/٣/٢٢ بعد أن أسس تراجان الولاية العربية، لكن النهاية السياسية لم تنه حضارة الأنباط التي استمرت.

تمسك قسم من الأنباط بديانتهم زمناً بعد انتشار المسيحية، وفي القرن الرابع الميلادي قويت المسيحية وأصبح للبتراء أسقف سنة ٣٢٥م.

تأثروا بفن الرافدين وجنوب الجزيرة، وطبع بطابع هلينستي، وتجلى في العمارة على الأخص في المدافن، وقد أبدع الفن المعماري النبطي طرازاً جديداً من تيجان الأعمدة. اكتشفت مدينة البتراء عام ١٨١٢م على يد بوكهارت الألماني.

٣٨ــ المسيحية:

عرفت هذه الديانة بالمسيحية نسبة إلى المسيح عيسى بن مريم الذي بشر بها، ورغم أن هذه الديانة نشأت بكامل تفاصيلها في فلسطين إلا أن تطورها وانتشارها تأثراً بالحضارة الهلينية والحكم الروماني.

الكتاب الذي جاء به المسيح يعرف بالإنجيل أو العهد الجديد لتمييزه عن التوراة أو العهد القديم، والإنجيل في اليونانية تعني البشارة أو الخبر السار، وقد كان هناك عدد كبير من الأناجيل في القرنيين الأول والثاني بعد الميلاد، لكن لم يتم الاعتراف من قبل الكنيسة إلا بأربعة أناجيل هي متى ومرقص ولوقا يوحنا.

وقد كتبت هذه الأناجيل بين أعوام ٥٠-٩٠م باللغة اليونانية ماعدا أنجيل متى الذي كتب بالآرامية لكن نسخته الأصلية فقدت، ويستخلص من الأناجيل أن يسوع ولد حوالي سنة ٤ق.م في بيت لحم ، وانتقلت أسرته إلى الناصرة حيث عاش مع والدته وإخوته في بيت يوسف النجار لذا فقد عرف باسم يسوع الناصري واشتغل بالتجارة وكان يتردد على المجمع الديني ويختلط بفئات الشعب، وتتحدث المصادر التاريخية عن علاقته بيوحنا المعمدان الذي كان قريبا له من ناحية الأم وقد قام يوحنا بتعميد

المسيح في نهر الأردن عندما بلغ الثلاثين، ويوحنا المعمدان هو يحيى بن زكريا المذكور في القرآن وقد كان يعمّد الناس ويدعوهم إلى التمسك بالأخلاق ويبشر بظهور المسيح.

أمر الملك هيرودوس أنتيباس بسجن يوحنا ثم قتله، وعند ذلك أخذ يسوع يجوب الجليل والسامرة معلنا إنجيل التوبة، وبرزت في تلك الحقبة عدة فرق يهودية منها الصدوقيون والفريسرن والأسينيون وفرقة الزيلوت وكانت جميع هذه الفرق ضد سيطرة الرومان، وقاموا بعدة ثورات فاشلة، ولما لم يتمكنوا من الخلاص بالسلاح لجأوا للتنبؤات في انتظار المسيح الذي تحدثت عنه الكتب المقدسة لديهم.

أنكر المسيح أنه من نسل داوود أو أنه جاء ليعيد الملك إلى بني إسرائيل، ولم يؤيد الثورة على حكم الرومان وقال مقولته الشهيرة" أعطوا ماالله لله وما لقيصر لقيصر، ولم يتمسك بالشكل بل سعي إلى الجوهر فكان يقول مثلا عن العمل يوم السبت: إنما جعل السبت من أجل الإنسان ولم يجعل الإنسان من أجل السبت.

كان يعطف على المساكين والفقراء خصوصا واعتبرت تعاليمه ثورة عميقة في المبادئ الأخلاقية، وكثر أتباعه لكنهم أنفضوا عنه حين رفض أن يتوج ملكا أرضيا، وأخذت الفرق اليهودية بمحاربته، فقبض عليه مجلس السنهدرين اليهودي وحكم عليه بالإعدام في الحال، وصادق بيلاطس البنطي على الإعدام وهو متردد ،فصلب المسيح وقتل، وآمن أتباعه بقيامه بعد الموت وعرفوا باسم الناصرين أو النصارى.

تحت ضغط السنهدرين، هرب اليهود الذين آمنوا بعيسى من أورشليم إلى السامرة وقيسارية وأنطاكية وأنشأوا فيها جماعات مسيحية عرفت كل منها باسم "اكليزا" تقابله كلمة كنيسة وتعني المجمع معربة عن الآرامية.

حكم على بطرس وبولس بالإعدام، وبعد مئة عام على موت بولس، ظهرت تأثيراته على المسيحية وتطورها، وقيل أنه فصل المسيحية عن اليهودية، فخرجت المسيحية عن حدود فلسطين وانتشرت في أنحاء الإمبراطورية الرومانية، وعندما أقدم

الإمبراطور قسطنطين على اعتناق المسيحية عام ٣٢٠م تقريبـــا، عقـــد المجمـــع المسكوني عام ٣٢٥م ، وجعل المسيحية الديانة الرسمية للإمبراطورية الرومانية.

٣٩ــ الحواريون:

هم رسل المسيح "الإثنا عشر"، أولهم بطرس وآخرهم يهوذا الإسخريوطي الذي سلم المسيح لأعدائه، والحواريون هم "سمعان (بطرس)، أندراوس، يعقوب بن زبـــدي، يوحنا فيلبس، برتلماس، توما، متي العشار، يعقوب بن حلفـــى، تـــداوس، ســـمعان الغيور، يهوذا الاسخريوطي.

كانوا جميعهم من بيئة فقيرة، صحبوا المسيح فأنشأهم ليبشروا ويتكلمـــوا باســـمه، وقصر عليهم تأسيس الكنيسة وإقامة الأساقفة عليها، وأمرهم بدعوة الأمم إلى التوبة وغفران الخطايا، وأن يواصلوا عمله على الأرض.

بعد حادثة الصلب، غادر الرسل القدس وانتشروا في العالم كممثلين للمسيح، وتذكر المصادر أن جميعهم سفكوا دماءهم في سبيل الشهادة.

٤٠ــ الصدوقيون:

فرقة يهودية تنسب إلى صادوق الكاهن الأعظم زمن الملك سليمان، وقد ظهرت في عهد المكابيين وكانت تضم كبار الكهنة في القدس وبعض الكتبة اليهود الذين مالوا إلى مسالمة الرومان، ورغم ضعف تأثيرهم في جماهير الشعب، إلا أنهم ألفوا كتلة قوية في مجلس "السنهدريم" أعلى سلطة دينية وسياسية عند اليهود (٢٠ عضواً من أصل ٧٠).

دينياً، كان الصدوقيون محافظين، يرفضون السنن الشفوية وكل مـــا أضـــيف إلـــى أسفار موسى الخمسة، وينكرون الأنبياء ولا يؤمنون بالبعث، وكانوا حريصين على امتيازاتهم الأرستقراطية. خشي الصدوقيون تجمع الشعب حول المسيح، فكانوا فـــي طليعة المسؤولين عن محاكمته.

٤١ــ الأبيونيون:

ظهرت معظم ملامح التشريع الأبيوني في مخطوطات البحر الميت، وقد تأسست الطائفة الأبيونية عام ٧٠م بعد خراب الهيكل، وهي طائفة من دراويش اليهود اعتنقت المسيحية وبالغت في التفسير اليهودي لها، واعتبروا بولس رسولاً زائفاً حين جعل المسيحية رسالة عالمية، وهي في رأيهم يجب أن تكون لليهود فقط.

مؤسس هذه الطائفة هو أبيون، وعثر على أول ذكر لهم عام ١٨٥م، وقد وصفوا يسوع في القرنين الثالث والرابع الميلاديين بأنه ابن الإنسان وأنه نبي حقيقي، ورفضوا الأضحيات والمعبد اليهودي.

ذكر العالم الإنجليزي تيتشر في دراسته عن مخطوطات البحر الميت أنها كانت لطائفة معروفة باسم الأبونيين، وحدث فعلاً أن طائفة مسيحية يهودية هجرت بيت المقدس إلى جرش وهجرت معابد اليهود، ثم انتهى أمرها دون تأثير لا في تاريخ اليهودية ولا المسيحية.

٤٢ــ اليعقوبية:

ترجع إلى نشأة المسيحية في القرن الأول الميلادي، ورعاياها منتشرون في سوريا وفلسطين ولبنان ومصر والعراق والهند، أما التسمية فجاءت في القرن الخامس الميلادي نسبة إلى الأسقف يعقوب البرادعي الذي أرسلته تيودورا زوجة الإمبراطور إلى الحارث بن جبلة ليعلم قومه الدين، ويعتقد العيقوبيون أن في المسيح طبيعة واحدة إلهية.

يرجع وجود هذه الكنيسة في فلسطين إلى ما قبل القرن الخامس، فالفلسطينيون هم أول شعب تنصر، وكان للكنيسة أبرشية في غزة وأخرى في طبريا، وفي عكا وكان لهما عدة أديرة وكنائس في القدس وأريحا وغزة ووادي الأردن.

مقر هذه الكنيسة في القدس ولها كنائس في بيت لحم ووادي الأردن وديـر فـي القدس، ويقيم النائب البطريركي في دير القديس مرقس الشهير بمكتبته التي أنشئت عام ١٧١٨م وتحوي مخططات وإيقونات نادرة.

٤٣ــ قبيلة تنوخ:

هم قبائل تحالفت وأقامت في مواضعها "تنخت"، ويرجح المؤرخون وجـودهم فـي المنطقة قبل الإسلام بقرون، ويختلف في نسبهم وفي كونهم من قضاعة أو من بني أسد، نصبهم ملك الروم على الشام فتنصروا، وهناك رواية عن مقـاتلتهم الفـرس فكافأهم الروم بإقطاعهم سوريا وما جاورها. حاربوا خالد بن الوليـد فـي دومـة الجندل عام ١٢هـ، اعتنقوا الإسلام في العصر العباسي ومنهم أبو العلاء المعري.

٤٤ــ الجليليون:

هم سكان الجليل شمال فلسطين، تحولوا إلى الديانة اليهوديـة فـي القـرن الثـاني الميلادي، وأصبحوا من أشد اليهود تعصباً وعنفاً، وقعوا تحت تأثير يهودا الجليلـي الذي تلخصت دعوته في أن ليس لليهود ملك غير الإله يهوه، ونجحت دعوته بينهم فأباحوا كل تضحية في سبيل نشر الدعوة، فكانوا يحتملون التعذيب والموت بـسبب مناوأتهم للحكم، والتف الناس حولهم لسوء أحوال البلاد الاقتصادية والضرائب التي فرضها الرومان.

المؤرخ اليهودي يوسيفوس انتقد يهودا لأن حركته أوقعت اليهود في حـرب مـع الدولة الرومانية أصيبوا فيها بخسائر فادحة. ورغم نجاح الرومان في حروبهم مـع الجليليين، فإن حركتهم كان لها تأثير واضح في التاريخ اليهودي.

٤٥ــ قبيلة عاملة:

قبيلة قحطانية، جاءت من اليمن إلى الشام وأقامت في جبل عاملة المشرف على طبرية، وكانت بعض بطونها خاضعة للزباء ملكة تدمر، وعند ظهور الإسلام كانت قبيلة عاملة قد استوطنت جنوب شرق البحر الميت، وقد ناصرت البيزنطيين على الجيش الإسلامي، وبعد دخول المسلمين بلاد الشام استوطنت القبيلة منطقة الجليل، وقد قامت بمساندة الأمويين غير أنها لم تقم بدور سياسي مهم.

٤٦ــ قبيلة كلب:

قبيلة عربية تنتسب إلى كلب بن وبرة من قضاعة، وكانت أعظم قبيلة في بلاد الشام قبل مجيء الإسلام، وقد انتشر فيها المذهب النصراني، وقد كانت قبيلة شبه مستقرة، ولم يكن موقفهم معادياً للإسلام فقد دخلوا فيه تدريجياً فاستمرت أهمية هذه القبيلة، فبعد تحرير الشام، أصبح لها نفوذاً سياسياً على الأخص في العهد الأموي، وقد تزوج معاوية منهم، وزوجته ميسون الكلبية هي التي أنجبت له يزيد ومن شدة ما دعم الكلبيون الأمويين صارت كلمة كلب مرادفة لأنصار الأمويين.

٤٧ــ الأريوسية:

مذهب ديني مسيحي، أنشأة الكاهن المصري أريوس (٢٥٦-٣٣٦م)، وقد تلخص في أن البحث في المسيحية يجب أن يتأسس على فكرة الثالوث المقدس الأب والابن والروح القدس، وهو بذلك قد خالف تعاليم الكنيسة فيما يختص بشخصية المسيح.
حرم من كنيسته فآواه يوسيبيوس رئيس أساقفة قيسارية وساعده فأصبح له مؤيدون في فلسطين وخارجها، فغدت فلسطين قلعة للأريوسية، وقد تركز بسببها الخلاف بين الغرب والشرق حتى أن الإمبراطور تدخل شخصياً في الأمر، فقد تبنى كونستانسيوس الأريوسية وفرضها على الأساقفة ونفي كل من رفضها، لكن موته عام ٣٥٦م جعل الأمر يتم لخصوم الأريوسية، لذا فإن الأريوسية انتشرت فقط لمدة

بين ٣٢٥م و٣٨١م ثم تراجعت لتنتشر بين أقوام البرابرة وهي الشعوب التي بقيت خارج الحضارة اليونانية.

٤٨ــ قبيلة الضجاعمة:

الضجماعمة قبائل عربية تنسب إلى ضجعم بن سعد من آل سليح بن عمرو بن حلوان بن عمران بن الحافي من قضاعة، وقد كانت أحدى أسرتين فيهما الملك في مشارف الشام، وقد انتزعوا الملك من بني تنوخ، وشمل ملكهم الشريط الجنوبي من بلاد الشام بأكمله، وقد دانت بالنصرانية، وقد جعل ذلك علاقتهم بالروم وطيدة، وقد كانوا في فترة القرن الرابع للميلاد.

انتزع الغساسنة الملك منهم لكنهم ظلوا يستوطنون مشارف الشام، وعندما جاء الإسلام ناصروا الروم على المسلمين كما حدث في غزوة دومة الجندل، لكنهم أسلموا بعد ذلك وشاركوا في الفتوحات الإسلامية.

٤٩ــ النسطورية:

نشأت في القرن ٥م على يد نسطورس، وتقول بوجود شخصيتين في المسيح إلهية وإنسانية وقد أتاح هذا المبدأ لأسقف القدس يوفنالس تحقيق استقلال كنيسته عن إنطاكية فنقل الرئاسة من قيسارية إلى القدس.

٥٠ــ المونوفوزية:

تعني الطبيعة الواحدة، أحدث هذا المبدأ رئيس رهبان كنيسة في القسطنطينية هو أوطيخا في القرن ٥م وذهب فيه إلى أن المسيح فيه طبيعة واحدة هي الإلهية، وانتشر المبدأ في فلسطين وصار أتباعه يعتلون الكرسي البطريركي في القدس.

٥١ــ الغساسنة:

هم أحفاد جفنة بن عمرو، وهم قبائل أزدية يمانية وكان جبلة أشهر ملوكهم الأوائل وقد تمكن من مد نفوذه إلى فلسطين سنة ٤٩٧م، فتقدم إليه البيزنطيون للإفادة منه.

هاجر الغساسنة من اليمن أواخر القرن الثالث للميلاد وتقدموا نحو بلاد الشام الجنوبية وأزاحوا قبيلة الضجاعمة وحلوا محلها، فاعترف لهم البيزنطيون بنوع من السيادة ومنحوهم ألقاباً سياسية رفيعة، وقد أقام الغساسنة دولة حاجزة بين سورية والساسانيين فساعدوا الروم في حروبهم ضد الساسانيين الفرس.

امتدت سلطتهم على القبائل العربية التي نزلت بفلسطين والأردن وأطراف سوريا، وقد اعتنقوا النصرانية على المذهب اليعقوبي.

ازدهرت دولتهم في عهد الحارث بين جبلة، الذي حارب المنذر بن ماء السماء وهزمه سنة ٥٢٨م، وقد ساعد البيزنطيين في قمع تمرد السامريين سنة ٥٢٩م فمنحه الإمبراطور جستنيان لقب فيلارك ولقب بطريق وهما لقبان إداريان رفيعان، وتجددت الحرب بين الغساسنة وملك الحيرة على مناطق النفوذ في الإقليم المعروف بالسراط جنوبي تدمر، واستمرت الحرب حتى أحرز الحارث الغساني انتصاراً حاسماً على المنذر الثالث الذي قتل في معركة عرفت بيوم حليمة سنة ٥٥٤م.

حظي المنذر بن الحارث بحفاوة القيصر مما أوغر صدور رجال دولته، فاستغلوا فرصة هزيمة الجيش البيزنطي أمام الفرس وعزوها إلى خيانة المنذر الذي نفاه القيصر إلى القسطنطينية ثم إلى صقلية حيث مات هناك سنة ٥٨٣م.

ثار أبناء المنذر بقيادة أخيهم النعمان وحققوا مجموعة من الهجمات الناجحة، لكن البيزنطيين تمكنوا من النعمان وسجنوه عام ٥٨٤م، وتعتبر هذه بداية أفول نجم وحدة القبائل العربية في سوريا وحين غزا الساسانيون سوريا بقيادة كسرى أبرويز عام ٦١٣م واحتلوا دمشق والقدس، قضوا على آخر نفوذ للغساسنة.

حاربت بقايا الغساسنة جيوش المسلمين إلى جوار البيزنطيين، وقد انتصر خالد بن الوليد على الروم ومعهم الغساسنة في معركة مرج صفر سنة ٦٣٤م، كما أن جبلة

بن الأيهم اشتبك مع خالد بن الوليد في معركة اليرموك سنة ٦٣٦م، ويعزو بعض المؤرخين جزءاً من انتصار المسلمين إلى تحول جبلة بن الأيهم للحرب مع أبناء جلدته العرب ضد البيزنطيين.

٥٢ــ المونولوتية:

باليونانية تعني الإرادة الواحدة، وقد أطلقت على من قالوا بوجود إرادة واحدة في المسيح هي الإرادة الإلهية، وقد نشأت المونولوتية في القرن السابع الميلادي ٦١٥م على يد البطرك سرجيوس، وقد قال بأن في المسيح طبيعتين إلهية وإنسانية ناشئين عن إرادة واحدة هي الإرادة الإلهية وقد أعجب هرقل بهذا المبدأ فأمر بنشره.

٥٣ــ الإسلام:

حين جاء الإسلام كانت فلسطين تحت حكم الإمبراطورية البيزنطية، وتطلع المسلمون إليها لعدة أسباب منها قربها من الجزيرة وكذلك قداسة أراضيها باعتبارها مسرى نبيهم وكذلك ما حوته من مقدسات أخرى للديانات المختلفة، وكونها أولى القبلتين.

قبل وفاة الرسول عليه السلام جهز جيشاً بقيادة أسامة بن زيد وأمره أن يوطئ الخيل البلقاء والداروم في فلسطين، فأكمل أبو بكر النهج، فاختار عمرو بن العاص لفتح فلسطين وتحريرها، فالتقى المسلمون بقيادة يزيد بن أبي سفيان بالروم في وادي عربة وذلك عام ٦٣٤م، والروم يومئذ بقيادة سرجيوس بطريق فلسطين، ونجح المسلمون في دحر الروم لكنهم اضطروا للتراجع إلى غزة بعد موت الكثير منهم، واستطاع عمرو بن العاص هزيمة الروم في أجنادين بين الرملة وبيت جبرين، فاضطر الروم بقيادة الأرطبون للتراجع نحو بيت المقدس، أضف إلى ذلك ما حققه المسلمون من نصر في اليرموك مما أخضع الشام لهم.

ثبتت الجيوش الإسلامية في فلسطين وفتحت المدن تباعاً من بيسان إلى طبريا إلى بيت جبرين ونابلس واللد وغزة ورفح وعسقلان ويافا وعكا وعمواس.

أثناء ذلك كان الخليفة أبو بكر قد توفي وتولي الخلافة بعده عمر بن الخطاب، وقام المسلمون بحصار بيت المقدس لمدة أربعة أشهر اشترط بعدها البطريق صفرونيوس أن يسلم المدينة لعمر بن الخطاب شخصياً، فقبل عمر وتسلم المدينة وكتب لأهلها ما عرف بعد ذلك في التاريخ الإسلامي باسم "العهدة العمرية"، لينتشر الإسلام في فلسطين ويستقر العرب فيها، وخصوصاً بعد اتخاذ مراكز للجند في طبريا واللد مما زاد من موجات الهجرة إلى فلسطين، كما وضعت حاميات في قيسارية وعسقلان ومنحت الأراضي لتوطينها في عهد عمر وعثمان.

استمر الاهتمام بفلسطين في العصور اللاحقة فبنيت مدينة الرملة وأعيد أعمار المسجد الأقصى في عهد الأمويين، وشجع الخلفاء الهجرة إلى فلسطين وفق متطلبات الجهاد، فهاجرت القبائل على أسس عسكرية واقتصادية، ومنحت الأراضي وأقطعت القطائع، وكان عثمان بن عفان قد سن سنة تقضي بأحقية المهاجرين إلى فلسطين بامتلاك المناطق النائية غير المأهولة والتي لاحق لأحد فيها.

وكان دخول الأقوام غير العربية في الإسلام سبباً في أن مسلمي فلسطين يرجعون إلى جنسيات مختلفة، وأكثرهم سنيون، ماعدا تلك الفترة التي وقعت فلسطين فيها تحت الحكم الفاطمي، فقد غلب عليها الطابع الشيعي الذي اختفى بعد قدوم صلاح الدين الأيوبي.

٥٤ـ الراشدون:

أخذ الإسلام يهتم بجدية بفلسطين وإن كانت علاقات الجزيرة العربية لم تنقطع معها على مر التاريخ، وذلك لارتباطها بمسرى الرسول (ص)، وكونها أول قبلة

للمسلمين قبل تحويل القبلة إلى الكعبة، إضافة إلى الآيات القرآنية وأحاديث الرسول عنها ومجموعة الغزوات التي جرت على أرضها.

بدأ العصر الراشدي بخلافة أبي بكر الذي كان أول عمل له إرسال جيش أسامة بن زيد الذي جهزه الرسول لفتح فلسطين قبل وفاته، لكن أبي بكر توفي وفلسطين لم تفتح بعد. واصل عمر بن الخطاب أداء مهمة أبي بكر، وانتقل بنفسه عدة مرات إلى ميدان القتال حتى أن التاريخ يذكر له أربع زيارات وهو ما لم يحدث مع بلد آخر أثناء فتحها.

كانت فلسطين قسماً من الأقسام الأربعة التي قسم عمر البلاد على أساسها، واحتفظ جند فلسطين بوضعه الذي أرساه عليه عمر بن الخطاب لزمن طويل.

كان عمرو بن العاص أميراً على فلسطين في عهد عمر، فلما سار لفتح مصر استخلف أبا عبيدة بن الجراح الذي جعل يزيد بن أبي سفيان أميراً على فلسطين، ومات أبو عبيدة في طاعون عمواس فاستخلف معاذ بن جبل على إمارة الشام، ومات معاذ فاستخلف يزيد بن أبي سفيان الذي وضع أخاه معاوية أميراً على فلسطين فأقره عمر، ولما توفي يزيد تولي معاوية إمارة الشام فأصبح علقمة بن مجزر أميراً على فلسطين. واستمر معاوية في إمارة الشام يولي الأمراء ويعزلهم حتى ما بعد العصر الراشدي.

ظلت الأرض ملكاً عاماً للمسلمين في فلسطين، يزرعها الناس مقابل خراج معين، وحافظ أصحاب الديانات الأخرى على دياناتهم مقابل الجزية.

تدفقت القبائل العربية إلى فلسطين بعد الفتح، غسان في اليرموك والجولان، الأشعريين في طبريا ومدين في ما بين تبوك والعريش وبيت جبرين وسكن أريحا جماعة من قيس وقريش، كما نزلت قبائل من لخم بين مصر والشام وسكن بنو بكر منطقة جنين وآخرون من مضر في نابلس.

أعطى موقع فلسطين لسكانها بعد الفتح دوراً كبيراً في حركة الجهاد سواء في رد المحاولات البيزنطية لاستعادة فلسطين أو في حركة الفتح الإسلامي، حتى أن

معاوية أقام مصنعاً للأسلحة البحرية في عكا. مما وضع أساساً لأول أسطول إسلامي في عهد عثمان.

في الفتنة التي حدثت بعد مقتل عثمان وقف أهل فلسطين مع معاوية في المطالبة بدم عثمان وخرجوا معه للقتال في صفين، وعندما انتهت المعركة إلى قرار التحكيم، جرى التحكيم في منطقة أذرح بأطراف فلسطين الشرقية، وظل أهل فلسطين موالين لمعاوية ومن جاء بعده إلى أن توفي يزيد بن معاوية، فوقف نائل بن قيس الجذامي إلى جانب عبد الله بن الزبير وأعلن له البيعة.

خلق التنوع السكاني في فلسطين بعد الفتح تنوعاً حضارياً وتنوعاً لغوياً، فقام المسلمون بإنشاء دور العبادة ودور العلم في طول البلاد وعرضها، ولما كثر توافد الناس إلى دور العلم بعث لهم عمر بن الخطاب معاذ بن جبل الذي ظل يدرس فيهم حتى وفاته، فتولى التدريس بعدة عبادة بن الصامت حتى مات عام ٣٤هـ.

كان من جراء هذا الدور الحضاري أن استعربت غالبية السكان في الشام وفلسطين، فغلبت الصبغة العربية على البلاد مما أدى إلى تعريب الدواوين بعد ذلك كضرورة تاريخية في عهد عبد الملك بن مروان.

٥٥ـ الأمويون:

ارتبطت بلاد الشام بالأمويين منذ ما قبل الإسلام، لذا فقد حظيت فلسطين في عصرهم امتيازات. وشهد مطلع العصر الأموي استقرار التوزيع القبلي في فلسطين، وفرضت الضرورات العسكرية تكوين الأجناد مما أدى إلى تقسيم الشام إلى ٤ أجناد كانت فلسطين واحداً منها.

كانت الأرض في فلسطين شبه مشاعية، واهتم الأمويون بتطوير الزراعة فيها في الغور، وكان معاوية وابنه يحبان الإقامة جوار طبرية، وفد بني الوليد بن عبد الملك قصر المشتى قرب البحر الميت، وبني سليمان بن عبد الملك مدينة الرملة سنة

٩٨هـ. وقام معاوية بترميم سور القدس، واعتنى ببساتينها وغاباتها وبني دارا لصناعة السفن في عكا.

عين مروان بن الحكم ابنه عبد الملك والياً على فلسطين، فواجه ثورة قبلية قضى عليها، ومالت فلسطين في عهد عبد الملك إلى عبد الله بن الزبير في ثورته بمكة، وقد سيطر على فلسطين نائل بن قيس الخزامي سنة ٦٤هـ ودعا إلى ابن الزبير، فالتقاه عبد الملك في أجنادين وقتله. وانتهز الروم فرصة المشاكل هذه فأثاروا الجراجمة في لبنان وفلسطين، فهاجموا سواحل الشام.

وبنى عبد الملك بن مروان قبة الصخرة والمسجد الأقصى، ويعد مسجد قبة الصخرة أول مسجد للإسلام في الشام كلها (٧٢هـ).

استطاع الوليد بن عبد الملك القضاء على فتنة الجراجمة في فلسطين فتميز عهده بالاستقرار.

إثر مقتل الوليد بن يزيد (٧٤٤م) ثارت فلسطين على واليها، فأخمد يزيد بن الوليد ثورتها وعين عليها ضبعان بن روح، وفي وسط هذه المحن ظهر مروان بن محمد، الذي سار إلى دمشق للانتقام لمقتل الوليد، لكن أهل فلسطين بقيادة ثابت بن نعيم الجذامي تمردوا على مروان، لكن مروان صمد في وجه التمرد وقبض على ثابت الجذامي فهدأت الفتنة مؤقتاً. وظل مروان يخمد فتنة تلو أخرى واستطاع إخضاع الشام في النهاية سنة ٧٤٦م.

وحين بدأت الدعوة للعباسيين وتولى أبو العباس الخلافة سنة ١٣٢هـ ٧٤٩م، كان مروان بن محمد لا يزال صامداً لكنه انسحب إلى فلسطين، وقتل عبد الله بن علي ٧٠ رجلاً من أمراء بني أمية بعد أن أعطاهم الأمان عند نهر العوجا في فلسطين وبذلك انتهت الخلافة الأموية.

٥٦ـ العباسيون:

في عام ١٣٢هـ، انتقلت الخلافة من الأمويين إلى العباسيين، وبالتالي أصبحت فلسطين تحت الحكم العباسي الذي استمر حتى الفتح الفاطمي عام ٣٥٨هـ.

في أواخر العهد الأموي كانت فلسطين أحد مراكز القلاقل، فقد تشتت الناس حسب أهوائهم السياسية ودمرت الزلازل كثيراً من المعالم فيها وكثرت الفتن وضعفت الموارد الاقتصادية وأدى هذا إلى سقوط دولة الأمويين.

وبعد معركة الزاب التي حسمت الأمر لصالح العباسيين، تراجع مروان بن محمد إلى فلسطين فوقف منه سكانها موقفاً معادياً فاضطر للجوء إلى مصر، وبعد ثلاثة أشهر من معركة الزاب دخل عبد الله بن علي بن عبد الله العباسي إلى فلسطين سنة ١٣٢هـ. حيث قام بمذبحة أسفرت عن سبعين قتيلاً من الأمويين.

يمكن تقسيم العصر العباسي في فلسطين إلى قسمين، القسم الأول هو فترة الارتباط المباشر مع بغداد وسامراء الذي امتد بين (١٣٢-٢٦٤هـ)، وفي هذا القسم لم يعط العباسيون أولوية لفلسطين لشكهم في ولائها للأمويين، وفي عام ٢٥٥هـ تولى فلسطين عيسى بن الشيخ بن السليل الشيباني الذي تمرد على الخلافة لمدة عامين، لكنه هزم على يد أماجور التركي، الذي تسلم حكم الشام حتى عام ٢٦٤هـ حيث توفي وتحرك بعدها أحمد بن طولون من مصر للسيطرة على البلاد.

تمحور اهتمام العباسيين في هذه الفترة على أمن الطرق التجارية والحج وتأمين الخراج كما ركزوا على الاستفادة من المركز الديني لبيت المقدس ورعاية الأراضي المصادرة من الأمويين.

تجند بعض أهل فلسطين في الجيش العباسي في تلك الفترة، ووجدت في سامراء سنة ٢٤٨ هـ فرقة عرفت باسم فرسان طبريا كان لها دور في الفتنة العسكرية التي انتهت بتعيين المستعين بالله.

لكن الطابع العام لعلاقة أهل فلسطين بالحكم العباسي كان التمرد والثورة الناتجين عن العقدة الأموية والظلم الناتج عن الخراج والنزاعات على المصالح، فيما انتشر

الفقر والضائقة الاقتصادية وخصوصاً زمن الرشيد، فظهرت عدة ثورات تم إخمادها بالقوة وإن استمر بعضها خمس سنوات.

في أواخر أيام المعتصم (٢٢٦هـ) ظهر في الغور وطبرية وبيسان والرملة ثورة فلاحية قادها المبرقع تميم اللخمي، بلغ عدد أنصاره مئة ألف من الحراثين، ولم يتمكن العباسيون من هزيمته إلا سنة ٢٢٧هـ حين انصرف عنه أنصاره في موسم الحرث، فاعتقل وسجن في سامراء.

الفترة الثانية في علاقة فلسطين بالحكم العباسي هي فترة الارتباط بمصر ما بين عامي (٢٦٤-٣٥٨هـ) حيث كانت مصر في هذه الفترة تدخل عصراً من النشاط الاقتصادي عكس بغداد التي أنهكتها الثورات.

وقد ظهرت عدة دول في هذه الفترة كالدولة الطولونية التي حكمت ٢٨ عاماً، وفي أواخر هذه الفترة ظهرت الدعوة الإسماعيلية في فلسطين.

كما تضمن هذا القسم ظهور الدولة الإخشيدية على يد محمد بن طغج والتي استمرت ٣٥ سنة. في النهاية يمكن تلخيص الحكم العباسي في فلسطين أنه حول فلسطين على مستوى الديانة إلى الإسلام وإلى العربية كلغة، وسياسياً تحولت إلى حكم القواد الأتراك، واتجه الاقتصاد نحو النمو وأخذ المجتمع يعمل على دمج الثقافات المختلفة ببعضها ضمن الإطار الإسلامي العربي.

٥٧ـ المذاهب الأربعة في فلسطين:

أ. **الحنبلي:** المنسوب إلى الأمام أحمد بن حنبل (٧٨٠-٨٥٥م)، وقد تأخر ظهور هذا المذهب في فلسطين إلى القرن الخامس الهجري وذلك بسبب الدولة الفاطمية التي قضت على المذاهب، وكان على فلسطين انتظار قدوم الأيوبيين ليعيدوا المذاهب إلى التعاملات الإسلامية، ومن أسباب تأخر المذهب الحنبلي في فلسطين أيضاً عدم وجود قضاة حنبليين، إضافة إلى تشدد الحنابلة وتعصبهم واختلافهم مع العامة واستخدام الشدة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . انتشر المذهب

الحنبلي في أواسط القرن الخامس الهجري بدءاً من القدس على يد أبو الفرج عبد الواحد بن محمد الشيرازي المقدسي الحنبلي (توفي عام ١٠٩٢م)، وقد كان فقيها واعظاً زاهداً، وقد عمل بعده زين الدين بن نخبة الحنبلي المعروف بابن نجا الحنبلي على نشر الحنبلية في القدس وما حولها وقد كان صلاح الدين يسميه عمرو بن العاص، ويعمل برأيه ويحضر مجلسه.

اشتهر عدد كبير من فقهاء الحنابلة بالوعظ وعملوا في الفقه والتدريس والتفسير، منهم أبو الفرج عبد الرحمن بن نجم بن عبد الوهاب السعدي وعز الدين أبو بركات عبد العزيز بن علي بن عبد العزيز البغدادي المقدسي الحنبلي. عين صلاح الدين أربعة أئمة بعد الفتح للصلاة في المسجد الأقصى فكان إمام الحنابلة يصلي بالمسجد الواقع تحت المدرسة السلطانية خلف منارة باب السلسلة، لكن هذه الوظيفة تركت لعدم وجود حنابلة في القدس، ومن فقهائهم المشهورين في فلسطين قاضي القضاة شمس الدين العمري العليمي الحنبلي المولود في الرملة، ولكن معظم الحنابلة كانوا من القادمين إلى القدس وليسوا مقيمين فيها.

ب. المذهب الحنفي: نسبة إلى أبو حنيفة النعمان الكوفي ٦٩٩-٧٦٧م، وهو من أقدم المذاهب المعمول عند مسلمي اليوم، وقد غلب على سواه من مذاهب السنة.

كان أمام الحنفية في فلسطين في عهد صلاح الدين يصلي بقبة الصخرة المشرفة، أما عن كيفية انتشار المذهب الحنفي فقد قامت الدولة العباسية بنشره في الأقاليم التابعة لها، فكانت الحنفية سائدة في الشام بين الشعب ونظام الحكم أيضاً.

انتهت رياسة المذهب الحنفي في القدس إلى قاضي القضاة خير الدين محمد بن محمد بن عمران الغزي المقدسي الحنفي، وقد وقف السلاطين وفاعلو الخير المدارس والزوايا على المذهب الحنفي، مثل الزاوية الحنفية بجوار المسجد الأقصى التي وقفها صلاح الدين الأيوبي.

من أهم المدارس الحنفية في عصر المماليك مدرسة الملك المعظم شرف الدين عيسى التي عرفت بالمدرسة المعظمية ومن شيوخها الأمام كمال الدين إسماعيل

الشريحي وشمس الدين أبو عبد الله محمد الديري وخير الدين أبو المواهب خليل بن عيسى الباترتي وعلاء الدين أبو الحسين على بن شرف الدين عيسى بن الرصاص. ومن المدارس التي اشتهرت في العصر المملوكي وكانت تتبع المذهب الحنفي المدرسة المنجكية والمدرسة القادرية والمدرسة العثمانية والمدرسة التنكرية، ونذكر أنه في العهد المملوكي تحول كثير من فقهاء الشافعية إلى المذهب الحنفي، ولما استولي العثمانيون على مصر حصروا القضاء في المذهب الحنفي، وقام محمد علي بإلغاء العمل بالمذاهب الأخرى غير المذهب الحنفي في مصر، وما يزال المذهب الحنفي سائداً في كثير من البلدان إلى اليوم.

ت. المذهب الشافعي: نسبة إلى الإمام أبي عبد الله محمد بن أدريس القرشي الهاشمي الشافعي المولود بغزة عام ٧٦٧م والمتوفى في مصر عام ٨١٩م.

انتشر مذهب الإمام الشافعي في فلسطين فكانت من معاقل الشافعية في القرن الثالث الهجري، وقد قام الشافعيون في القرن الرابع بالاستئثار بالقضاء في الشام وفلسطين، وعاني المذهب الشافعي مثل بقية المذاهب مع قدوم الدولة الفاطمية، لكن مع مجيء الدولة الأيوبية حدثت الانتعاشة الكبرى حيث كان المذهب الشافعي هو مذهب الدولة الأيوبية الرسمي.

وجاء المماليك البحرية وظل سلاطينها شافعية حتى استحدث الظاهر بيبرس مبدأ القضاة الأربعة، لكنه ميز المذهب الشافعي بتوليه النواب في سائر البلاد وأفرده بالنظر في مال الأيتام والأوقاف، واستمر ذلك حتى قدوم العثمانيين الذين حصروا القضاء في الحنفية، ولم يؤثر في انتشار الشافعية في مصر وفلسطين.

عند سقوط القدس في أيدي الصليبيين استشهد عدد من فقهاء الشافعية مثل الشيخ أبو القاسم مكي بن عبد السلام بن الحسين بن القاسم الأنصاري الرملي، أسره الصليبيون ثم قتلوه، كما قتل أيضاً أبو القاسم عبد الجبار بن أحمد بن يوسف الرازي، وعندما استرد صلاح الدين القدس كان إمام الشافعية يصلي بالناس في الأقصى، وكانت الشافعية فقهاً يدرس كمادة رسمية في المسجد الأقصى.

من أشهر مدارس الشافعية في فلسطين المدرسة الصلاحية ومن شيوخها بهاء بن شداد وابن عسكر الدمشقي. وقد كانت هذه المدرسة مصدر إشعاع علمي وثقافي وظلت كذلك لقرون طويلة، ومن المدارس الشافعية الشهيرة المدرسة الناصرية والمدرسة البدرية والمدرسة الميمونية.

ساهم علماء الشافعية في حركة التأليف فوضعوا الكثير من المصنفات في الفقه والحديث وأنفقوا على العلم من جيوبهم ومنهم من اشتغل بالعلم تبرعاً.

اعتبر العصر الذي سبق العصر العثماني العصر الذهبي للشافعية إذ كان لها سلطاناً مطلقاً على بلاد الإسلام الوسطى، وما يزال المذهب الشافعي يحظي بالمكانة الأولى في بعض البلدان.

ث. المذهب المالكي: انتشر المذهب المالكي في الحجاز وبغداد وفارس والبحرين وقطر والكويت والسودان والمغرب العربي، وفي الأندلس، لذا لم تكن له مكانة خاصة في فلسطين كما كان لبقية المذاهب.

٥٨ــ الفاطميون:

قامت دولة الفاطميين في المهدية بتونس سنة ٩٠٩م، احتلوا مصر سنة ٩٦٩م، لكن الخلاف مع العباسيين دفعهم للتفكير ببلاد الشام، وكانت فلول الإخشيديين التي قضى عليها الفاطميون لا تزال في جنوب الشام ولابد من استئصالها.

أرسل جوهر الصقلي حملة إلى فلسطين سنة ٩٦٩م فانتصر قائدها جعفر بن فلاح في الرملة على الإخشيديين، ودخل طبريا دون مقاومة، لكن الحسن بن أحمد القرمطي انتصر عليه سنة ٩٧٠م بمساعدة البويهيين والحمدانيين، وعاد جوهر الصقلي على رأس حملة عام ٩٧٥م في عهد العزيز بالله الفاطمي، واشتبك مع افتكين القائد التركي فانسحب جوهر إلى الرملة وعقد صلحاً مع افتكين وانسحب مهزوماً، لكن الخليفة العزيز قاد حملة بنفسه عام ٩٧٧م وقضى على أفتكين وقبض عليه ثم عفا عنه الخليفة. في غمرة هذا النزاع العنيف قام بنو الجراح بمحاولة

لإنشاء دولة مستقلة لهم في أواخر القرن العاشر الميلادي لكن الجيش الفاطمي انتصر عليهم سنة ٩٨٨م وكان قائدهم مفرج بن دغفل. عاد الجراحيون عام ١٠٠٩م بزعامة حسان بن مفرج الذي استولى على الرملة وعمل على إقامة خلافة بفلسطين، وبايع أمير مكة أبو الفتوح بالخلافة سنة ١٠١٠م، وجاءت حملة فاطمية إلى فلسطين فهزمها الجراحيون وظلوا يسيطرون على فلسطين.

عام ١٠١٣ جاءت حملة فاطمية تمكنت من هزيمة الجراحيين، إلا أن حسان بن مفرج بن الجراح عقد سنة ١٠٢٤م اتفاقاً مع صالح بن مرداس وسنان بن عليان لإخراج الفاطميين من بلاد الشام على أن تكون فلسطين له من الرملة إلى حدود مصر، لكن الفاطميين استردوا فلسطين عام ١٠٢٩م وهزموا الحلفاء عند طبرية.

جاء الصليبيون واحتلوا إنطاكية وانتزعوا القدس من أيدي الفاطميين سنة ١٠٩٩م، وانتهى أمر الفاطميين في فلسطين أيام الخليفة المستعلي بعد أن أصبح الفاطميون بين فكي كماشة هي الأتراك والفرنجة.

٥٩ــ القرامطة:

القرامطة هم فرقة من الباطنية الشيعة كان لها نفوذ امتد من البحرين إلى مصر في القرنين الثالث والرابع الهجري، إلا أننا هنا سنتعرض لعلاقتهم بما حدث على أرض فلسطين وليس إلى تاريخهم ذاته. وهم من حيث المبدأ الديني فرقة إسماعيلية، وتنسب إلى مؤسسها حمدان بن قرمط.

تعاظم جند القرامطة بعد مجموعة من الانتصارات في العراق وسورية فتوجه قائدهم زكرويه إلى طبريا فاحتلها وعاد وانسحب منها ومن ثم قتل على أيدي جيش الخليفة العباسي، وبذا خمدت حركة القرامطة في الشام لمدة نصف قرن في الوقت الذي كان فيه نفوذهم يتعاظم في شرق الجزيرة وشمالها، وفي عام ٩٦٤م قام الحسن الأعصم أحد زعمائهم بالهجوم على الشام وأجبر حكام الشام الإخشيديين على دفع الجزية، وفي عام ٩٦٨م دخل الرملة بتحالف مع الفقيه المالكي أبي بكر

بن علي النابلسي نكاية بالفاطميين، وفي عام ٩٧١م سار الأعصم إلى الشام مرة ثالثة ولقي جيش الفاطميين وقتل قائده جعفر بن فلاح، وغادرها إلى الرملة ودخلها وقتل من فيها من المغاربة وحاصر يافا وتوجه منها للقاهرة.

هزم القرامطة هزيمة نكراء في معركتهم مع الفاطميين على أبواب القاهرة عام ٩٧٤م، ولكنهم عادوا بعد سنتين بدعوة من القائد التركي افتكين فوافاه أبناء أبي سعيد الجنابي عام ٩٧٦م فوجههم معه بعض إتباعه إلى فلسطين، فأرسل الخليفة الفاطمي العزيز بالله حملة إلى فلسطين قادها جوهر الصقلي وتلاقي الجميع حول طبريا وتراجع القرامطة وافتكين إلى دمشق فتابع الصقلي سيره نحوها، وبعد حوالي شهرين بدأ جيشه يعاني البرد وقلة المؤن فانسحب إلى الرملة حيث حوصر وهزم بعد حرب دامت سبعة أشهر، وجرت مفاوضات مذلة كانت نتيجتها أن خرج الصقلي من باب علق عليه سيف افتكين ورمح القرمطي عام ٩٧٧م.

بعد معركة قادها العزيز الفاطمي بجوار الرملة سنة ٩٧٨م هرب القرمطي وأسر أفتكين، لكن العزيز لجأ للاتفاق مع القرامطة للكف عن الإغارة على الشام مقابل ٣٠ ألف دينار سنوياً.

٦٠ـ الدروز:

فرقة إسلامية إسماعيلية فاطمية تؤمن بإمامة الحاكم بأمر الله الفاطمي الذي تولى الخلافة عام ٩٩٦م وقد تناقضت أعماله فاختلف فيه الناس إلى اليوم. وقد قضى على خصومه من الإسماعيليين؛ فأنشأت عقيدة التوحيد، التي عرفت بالدرزية على اسم مؤسسها انشتكين الدرزي الذي أعدم في القاهرة ١٠١٩م.

اختفى الحاكم بأمر الله فجأة عام ١٠٢١م، واختفى حمزة بن علي مسؤول الدعوة واختفى أيضاً علي بن محمد الضيف المفتي بهاء الدين سنة ١٠٤٣م.

تقبل هذه الدعوة أمراء تنوخ في لبنان وجماعات قليلة من سكان سورية وفلسطين، وقد أصبح العدد الأكبر من إتباع هذه العقيدة يتواجد في الشام بعد أن نُكل بهم على

يد الحاكم بأمر الله وطاردهم، أما إقامتهم اليوم في فلسطين، ففي عدد من قرى الجليل منها دالية الكرمل وعسفيا وحرفيش وبيت جن وعين الأسد وكسرا ويانوح والبقيعة وكفر سميع وجت ويركا والنبي شعيب والمغار والرملة والمنصورة وأبو سنان وجولس وسجور.

اضطلع الدروز بدور كبير في مقاومة الاستعمار في بلاد الشام، وقاد زعيمهم سلطان الأطرش الثورة السورية الكبرى عام ١٩٢٥م في بدايتها، أما في فلسطين، فمنذ عام ١٩٤٨، جعلت مهم إسرائيل أقلية مميزة مستعينة ببعض زعماء الدروز المتعاونين معها، فأعلنت اعترافهما بهم طائفة دينية مستقلة وفرضت عليهم خدمة الجيش الإلزامية (١٩٥٧) وأقرت الكنيست قانون المحاكم الدرزية (١٩٦٢) وادعى الصهاينة أن ذلك بطلب من شيوخ الدروز.

ألّفت القوى الوطنية التقدمية الدرزية في الأرض المحتلة اللجنة الدرزية المستقلة وحملت مسؤولية إلغاء التجنيد الإلزامي وإعادة الطائفة إلى أصلها كجزء غير منفصل عن الشعب العربي.

رغم ذلك لم تتوان إسرائيل عن مصادرة أراضيهم كغيرها من الأراضي، وما زالت كثير من أبواب العمل موصدة في وجه الدروز.

٦١ــ الشيعة:

الشيعة هم من شايعوا الإمام علي على أنه أحق بالخلافة، وهناك دولتان تبنتا المذهب الشيعي كمذهب رسمي للدولة هما دولة بني بويه في بغداد سنة ٩٤٥م، ودولة الفاطميين في مصر ٩٦٨م.

انتشر هذا المذهب في فلسطين في القرن العاشر الميلادي، فكان أهل طبرية ونصف أهل نابلس شيعة، وقد قال الرحالة ناصر خسرو عام ١٠٤٥: إن عدد سكان القدس نحو ٢٠ ألفاً جلهم شيعة.

أنشأت الدولة الفاطمية في بيت المقدس دار العلم الفاطمية فرعاً للدار في القاهرة التي أسسها الحاكم بأمر الله سنة ١٠٠٤م، وكان لها أكبر الأثر في انتشار المذهب في فلسطين. وقد ظلت الدار قائمة حتى سقطت القدس بيد الصليبيين.

في القرن السادس الهجري زار ابن جبير فلسطين فوصفها قائلاً: وللشيعة في هذه البلاد أمور عجيبة، وهم أكثر من السنيين، وقد عموا البلاد بمذاهبهم، وهم فرق شتى منهم الرافضة والأمامية والإسماعيلية والزيدية والنصيرية.

هدأت حركة التشيع بعد سقوط الدولة الفاطمية، وحاول الأيوبيون بعد ذلك نزع ما غرسه الفاطميون في نفوس الناس، أما في عهد أحمد باشا الجزار فقد وقعت عدة وقائع بينه وبين الشيعة عام ١٧٨٠م في قرية يارون قرب صفد، وحاربهم الجزار لفترة عشر سنوات وأحرق آثارهم العملية حتى أنه ورد في الأثر "كان لأفران عكا من كتب جبل عامل ما أشعلها أسبوعاً".

لا وجود للشيعة اليوم كطائفة مستقلة في فلسطين، وقد نزح عنها مئات الشيعة اللبنانيين الذين أقاموا في شمال فلسطين في عهد الانتداب.

٦٢ـ السلجوقيون:

بدأ نفوذ الفاطميين في بلاد الشام منذ منتصف القرن ١١م، كان جنوب الشام يقسم إلى قسم فلسطيني مركزه الرملة، ودمشقي مركزة دمشق، لقبيلتي طئ وكلب.

نتيجة للنزاع بين أمراء الأسرة المرداسية في حلب، واتت الفرصة القبائل التركمانية الغزية للدخول إلى بلاد الشام بعد أن استعان بهم المرادسة، وقد خطط السلطان السلجوقي ألب أرسلان لغزو مصر بعد انتصاره على البيزنطيين شرق تركيا عام ١٠٧١م.

كانت هناك فرقة مرتزقة تركية تسمى الناوكية، لم تدن بالولاء لألب أرسلان، وأخذت تغير على دمشق من موقعها في طبريا، لكنهم لم يصمدوا أمام السلاجقة

خاصة بعد وفاة زعيمهم قرلو، أما القبائل السلجوقية بزعامة ألب أرسلان فقد زحفت باتجاه فلسطين بعدما دخلت الشام.

حاول أتزين اوق الخوارزمي أحد أبرز زعماء التركمان الجدد السيطرة على دمشق عام ١٠٧١م، ثم سار إلى فلسطين ففتح الرملة وبيت المقدس واستولى على بقية فلسطين من الفاطميين ماعدا عسقلان، وجعل الخوارزمي بيت المقدس بيتاً للحكمة وبدأ يعبئ قواته للسيطرة على المدن المجاورة لتوسيع نفوذ السلجوقيين، وباتت القدس على عهده صاحبة النفوذ في جنوب الشام، فأمده السلطان السلجوقي ملكشاه بالعون العسكري، فسيطر على عكا سنة ١٠٧٥م، ثم على دمشق ١٠٧٦م. لكن حملته على مصر أخفقت وتبعه الفاطميون حتى الرملة.

انتهز الفلسطينيون فرصة هزيمته أمام الفاطميين، فثار عليه أهل القدس بزعامة القاضي فحاول إتسز مفاوضتهم، ثم حاصر المدينة ودخلها وقتل ٣٠٠٠ من أهلها.

بادر الفاطميون بإرسال جيش يقوده ناصر الدولة الجيوشي سنة ١٠٧٨م، فاحتل القدس ثم تقدم نحو دمشق حيث يوجد اتسز الخوارزمي، فاستجد بتاج الدولة تتش بن ألب بن أرسلان في حلب، فتحرك تتش ودخل دمشق وقتل اتسز وانفرد بالحكم.

قام تتش بإقطاع القدس أحد قواده وهو أرتق بن أكسب التركماني، وحين توفي أرتق تولاها ابنه ايلغازي حتى سقطت بيد الفاطميين سنة ١٠٩٦م.

تعمقت خلافات السلاجقة بعد موت السلطان ملكشاه سنة ١٠٩٢م، وقد اصطدام تتش بابن أخيه بركيا روق، في موقعه حاسمة قتل فيها تتش وانهزم جيشه.

بعد موت تتش ظهرت فئة من السلاجقة ولدت وترعرعت في الشام وبهذا اختلفوا عن أسلافهم من التركمان، فتولى رضوان بن تتش إمارة دمشق، لكن التمزق عاد إلى بلاد الشام عام ١٠٩٥م.

وقفت القدس إلى جانب حلب في الصراع ضد دمشق، ولم يقف الفاطميون متفرجين، فقد أرسل الأفضل بن بدر الجمالي حملة عسكرية استطاعت انتزاع

القدس وأنحاء كثيرة من فلسطين من يد الآرائقة السلجوقيين سنة ١٠٩٥-١٠٩٦م، وأعادتها إلى السيادة الفاطمية.

بدأت الحملات الصليبية عام ١٠٩٨م مستغلة ظرف الانقسام في المنطقة، وألحق طفتكين والي دمشق هزيمة ساحقة بملك القدس بغدوين قرب طبرية سنة ١١٢٥م.

٦٣ـ الفرنجة:

في أوائل حزيران ١٠٩٩م وصلت طلائع الحملة الصليبية الأولى إلى الرملة ثم زحفت إلى القدس التي سقطت في أيديهم في ١٥ تموز ١٠٩٩م، فاستباحوا المدينة وقتلوا كل السكان فيها حتى النساء والأطفال. المؤرخ الفرنسي فوشيه دي شارتر رافق الحملة، قال: كانت القدم تغوص حتى الكاحل في دماء المسلمين، وذكر ابن الأثير أن الفرنج قتلوا في المسجد الأقصى سبعين ألفاً منهم عشرة آلاف عالم وفقيه، وبعد احتلال القدس أقام اللاتين فيها مملكة القدس اللاتينية وانتخبوا الأمير غود فري دي بوبون على رأسها ولقب نفسه "حامي المدينة المقدسة"، ورغم عودة معظم أمراء الحملة الصليبية الأولى إلا أن مسلمي الشرق لم يفكروا في استرداد المدينة، "بقي فيها ٣٠٠ فارس و٢٠٠ من المشاة فقط".

رغم ذلك تمكنت هذه القوة الصغيرة من الفرنجة من السيطرة على فلسطين فاستولت على قيسارية ويافا التي حصنوها وعمروها وتحولت التجارة إليها بعد أن أصبحت سفن أوروبا ترسو فيها، بعد وفاة غودفري سنة ١١٠٠م، تولى السلطة أخوة بغدوين الأول الذي عمد إلى زيادة أملاك الفرنج في فلسطين وخارجها فاحتل مدينة حيفا من المصريين وفشلت محاولات الدولة الفاطمية للتصدي للهجوم الصليبي، فاستمر بغدوين ليحتل عكا في أيار ١١٠٤م، واندفع بقواته نحو جنوب الأردن بعد أن احتل شمالاً حتى بيروت، واستقر في الشوبك وأعاد بناء فلعنها عام ١١١٥م، وفي عام ١١١٦م احتل العقبة وبني فيها قلعتين، وبذلك أصبح الساحل الفلسطيني كله بأيديهم ما عدا عسقلان.

طبق الفرنجة النظم الإقطاعية في فلسطين، وامتازت حياتهم بنشاط اقتصادي غزير فتمكنوا من امتلاك الأراضي التي عمل فيها فلاحون فلسطينيون، وقاموا بتصدير الزيت والزيتون والحمضيات إلى أوروبا الغربية وكذلك صدروا من فلسطين الأقمشة والزجاج والبُسُط فحققوا أرباحاً هائلة .

بدأت الصحوة العربية منتصف القرن ١٢م بظهور صلاح الدين الأيوبي الذي جهز الجيوش في الشام وحرر القدس بعد معركة حطين الشهيرة عام ١١٨٧م.

لكن أوروبا أرسلت الحملة الصليبية الثالثة التي احتلت عكا سنة ١١٩١م، وبعد مفاوضات طويلة عقد صلح الرملة سنة ١١٩٢م الذي نص على بقاء القدس للمسلمين شرط السماح بالحج للمسيحيين، لكن وفاة صلاح الدين وغضب البابا من الصلح دعا إلى إرسال حملة رابعة لم تصل إلى فلسطين ضمن ملابسات معقدة، فعاد الفرنج ليخرجوا بحملة خامسة من عكا بقيادة يوحنا بربين فطردهم الأيوبيون فعادوا إلى عكا، لكن الخلاف بين الأيوبيين جعل الكامل يستنجد بفردرك الثاني مقابل إعطائه القدس ليساعده على أخيه، فاستجاب فردريك فسلمه الكامل القدس دون حرب عام ١٢٢٩م.

أقيم تحالف بين الفرنج والتتار بعد قيام دولة المماليك عام ١٢٥٠م، لكن المماليك هزموا الفرنج في معركة المنصورة سنة ١٢٥٠م وأسروا لويس التاسع قائد الحملة، وقد كانت آخر الحملات الصليبية، وقد كان للظاهر بيبرس الأثر الأكبر في تخليص فلسطين من بقايا الفرنجة وتحرير باقي مدنها، وتابع بعده المنصور سيف الدين قلاوون مسيرة تحرير الشام لكنه توفي عام ١٢٩٠م فتابع ابنه الأشرف صلاح الدين خليل، الذي حرر عكا عام ١٢٩١م وهرب ملكها إلى قبرص ومضى الأشرف واستولى على بقية المدن، وهكذا سقطت معاقل الصليبين نهائياً عام ١٢٩١م.

٦٤ــ مملكة القدس اللاتينية:

إذا كنا تحدثنا عن الفرنجة في هذا الملف وأشرنا إلى كيفية إقامتهم لمملكة القدس اللاتينية فلابد من الحديث عن هذه المملكة لما لها من تأثير في التاريخ الفلسطيني وتاريخ الصراع الإسلامي مع الحملات الصليبية.

بعد أن أسست المملكة من قبل الحملة الصليبية الأولى، توفي أول حكامها غود فري وجاء بعده أخيه بغدوين وبدأ اللاتين في مملكة القدس بالتوسع في فلسطين نفسها، مع العلم أن طابع هذه المملكة لم يكن دينياً بحتاً ولا سياسياً بحتاً نتيجة اختلاف مشارب قواد الحملة الصليبية الأولى على فلسطين وبيت المقدس.

احتل بغدوين عكا بمساعدة الجنويين فمنحهم بعض الامتيازات، وساعده الجنويون أيضاً في احتلال جبلة وطرابلس وبيروت وهكذا قام الأسطول الجنوي بدور مهم في تثبيت أركان المملكة.

بني اللاتين القلاع في الجليل وعلى طول نهر الأردن لإحكام قبضتهم على القدس، ومن هذه القلاع الشقيف وتبين وبانياس وصفد والطور وكوكب الهوا والكرك والشوبك وغيرها كي يمنعوا أي تسلل عربي من جنوب البحر الميت أو من شرق الأردن، وأحكم اللاتين سيطرتهم على فلسطين فبدأوا في تنظيم أمورهم الداخلية فقد واجهتهم المشكلة الديمغرافية، فهم كانوا قليلي العدد وقد هاجر سكان المدن أو هجروا فتعطلت الزراعة، وقد قال وليم الصوري المؤرخ: "إن مواطني القدس بصعوبة يملأون شارعاً واحداً"، لذا فقد عمل الفرنجة على تشجيع الهجرة من المناطق المجاورة لاسيما إلى القدس حتى أنهم سمحوا لمسلمي القدس بالعودة للمدينة مع بعض الامتيازات.

توفي بغدوين عام ١١١٨م، فتعاقب على المملكة بغدوين الثاني وبعده فولك الأنجوي الذي أكمل تحصينات مملكة القدس وأعاد بناء قلعة الكرك، وتوفي عام ١١٤٣م وخلفه ابنه بغدوين الثالث الذي بدأت في عهده اليقظة العربية الإسلامية، والتي كان أبرز مظاهرها استيلاء عماد الدين زنكي على قلعة الرها عام ١١٤٤م

حتى أن ابن الأثير شبهها بمعركة بدر، وقد صدمت معركة الرها الفرنجة فاهتز كيانهم مما حذا بأوروبا أن ترسل حملة صليبية ثانية عام ١١٤٧-١١٤٩م لكنها هزمت أيضاً حين حاولت احتلال دمشق.

توفي عماد الدين زنكي عام ١١٤٦م فخلفه نور الدين زنكي الذي ضم دمشق إلى سلطانه رداً على احتلال عسقلان.

توفي بغدوين الثالث سنة ١١٦٣م فخلفه أخوه أموري الأول الذي تسابق مع نور الدين على احتلال مصر، ونجح نور الدين في الاستيلاء عليها واستوزار صلاح الدين سنة ١١٧١م، وفي ١١٧٤م توفي نور الدين زنكي، فحاولت مملكة القدس احتلال الشام وفشلت، وتوفي أمور الأول عام ١١٧٤م فبدأت مملكة القدس بالضعف كونه آخر ملوكها الأقوياء، إذ دب الصراع بين الأمراء بعد موته، وقام الأمير الفرنسي أرناط بمحاصرة قلعة العقبة وسار إلى اليمن وتهامه وعسير فأرسل صلاح الدين أحد قواده الذي هزم أرناط ففر إلى الكرك.

حكم مملكة القدس في تلك الأثناء بغدوين الرابع الذي لم يتجاوز عمره حين مات أبيه ١٢ عاماً، وفي أثناء حكمه توزعت السلطة بين العائلات الإقطاعية مما أدى إلى إضعاف مملكة اللاتين وتفتيت قوتها فدب النزاع بين بغدوين الرابع وزوج أخته الذي حاول عزله فرفض، لكنه تنازل عن العرش لابن أخته الصغير سنة ١١٨٥م، وكان بغدوين في الرابعة والعشرين وما لبث أن توفي، ولحق به الملك الصغير بغدوين الخامس سنة ١١٨٦م ولم يكن قد بلغ التاسعة، فأعلنت أمه سبيلا نفسها ملكة، فاستنكر القائد ريموند ذلك فدب الصراع في جسد مملكة اللاتين، يضاف إلى ذلك كله إصابة البلاد بالقحط والجفاف لانحباس المطر، وفي نهاية ١١٨٧م استولى أرناط على قافلة تجارية قادمة من القاهرة إلى دمشق رغم المعاهدة التي عقدوها مع صلاح الدين، فكانت النتيجة أن أعلن صلاح الدين الجهاد ودخل الكرك بقواته سنة ١١٨٧م وفتك بالفرنجة وعاد محملاً بالغنائم.

في نفس العام التقى صلاح الدين بقوات الفرنجة في حطين وأباد أكبر قوة حشدها الفرنج، وتمكن الأيوبيون من سحق الفرنج وأسر أرناط وقتله صلاح الدين وعفا عن بقية القادة، وهكذا سقطت مملكة القدس بعد ٨٨ سنة من الحكم وذلك عام ١١٨٧م.

٦٥ـ البنادقة:

في القرن العاشر الميلادي ضعفت روما، فكان أن نشأت جمهوريات صغيرة منها البندقية، حيث سعت للسيطرة على تجارة المتوسط.

كانت أوروبا قد بدأت حملاتها الصليبية ، فكانت البندقية تشجع الحجاج للذهاب إلى فلسطين، ونقلتهم بسفنها وقدمت لهم الخدمات، ولبى البنادقة دعوة الحرب الصليبية وكان لهم دور بحري كبير، ومقابل خدماتهم حصلوا على امتيازات بحرية وقضائية وتجارية، ففي عام ١١٠٠م عقد معهم غودفري ملك مملكة القدس اللاتينية معاهدة إعفاء جمركي وضريبي، ومنحهم ثلث أي مدينة يساعدون في احتلالها، وبعد شهرين من المعاهدة أسهم أسطولهم في احتلال حيفا، وفي عام ١١١١م منحهم الملك بغدوين الأول حياً خاصاً في عكا وامتيازات تجارية في القدس مقابل مساعدته في احتلال صيدا وبيروت، وفي عام ١١٢٤م وقعت القدس معاهدة مع البنادقة نالوا بموجبها كثيراً من الإعفاءات والامتيازات والحق في امتلاك أحياء والحق في استخدام مقاييسهم ومكاييلهم الخاصة في تجارتهم وأيضاً في وجود محاكم خاصة بهم.

دارت بينهم وبين الجنويين معارك استمرت لعدة سنوات في عكا عرفت بحرب القديس سابا عام ١٢٥٠م.

٦٦ــ البيازنة:

ينسبون إلى مدينة بيزا الإيطالية، ونشأتهم تشبه نشأة البنادقة والجنويين، وقد حصلوا على عدد من الامتيازات في القدس، فكان لهم أحياء خاصة ومنحوا ربع مدينة يافا، وهذا حدث في الحملة الصليبية الأولى ١٠٩٩م بعد المساعدات التي قدموها للفرنجة، وذلك بتحصين القدس ويافا، وفي سنة ١١٥٧ منحهم أموري الأول كونت يافا منطقة في يافا لإقامة سوق خاص بهم، وفي سنة ١١٨٧م عقدت معاهدة بين كونراد مونتفرات صاحب صور وملك القدس والبيازنة منحهم فيها الكثير من الامتيازات والإعفاءات الضريبية في المدن والموانئ مقابل مساعدتهم لمواجهة صلاح الدين، ولما تفجر الصراع بين كونراد مونتفرات وغي لوزنيان ١١٩٠-١١٩٢م حول عرش مملكة القدس، وقف البيازنة إلى جوار غي لوزينان في عكا، ووقف الجنويون إلى جانب خصمه الذي ربح المعركة وطرد البيازنة من صور، وتبعه ذلك صدام دموي داخل عكا بين البيازنة والجنوبيين، وسعي ريتشارد قلب الأسد للتوفيق بين الفريقين المتخاصمين، لكن الأمر انتهى بطرد البيازنة من صور وعكا وغيرهما ولم يعودوا إلى أحيائهم إلا عام ١١٩٥م.

في القرن ١٣ وصل الإمبراطور فرديك الثاني إلى فلسطين فتجدد الصراع بين البيازنة والجنوبيين، سنة ١٢٣١م في عكا، وتجددت مرة أخرى عام ١٢٤٩م. وقد تحالفوا مع فريدريك الثاني هذه المرة، لكن أمرهم ضعف بعد وفاة فريدريك الثاني سنة ١٢٥٠م وأزيحوا عن مسرح الصراع.

٦٧ــ الجنويون:

هم أهل جنوه، الضلع الثالث للبيازنة والبنادقة، وقدم الجنويون مساعدات للحملات الصليبية التي لم تكن تملك أساطين بحرية، وساهموا في مد محاصري القدس بالمواد الغذائية عام ١٠٩٩م، ونالوا حصة من مغانم القدس بعد سقوطها، وفي عام ١١٠٩م وقعت معاهدة بينهم وبين ملك القدس بغدوين الأول في مدينة يافا منحهم

ثلث غنائم أي مدينة يساعدون في احتلالها وامتلاك شارع واحد منهـــا، وأن يـــتم إعفاؤهم من الضرائب، ومنحوا شارعاً في القدس وشارعاً في يافا مع تعهد الملـــك بحماية تجارتهم وتسليمهم ممتلكات أي جنوي يموت في الحرب، كل هذا مع تعهده بدفع ٣٠٠ ليرة ذهبية لهم كل سنة.

وأسهم الجنويون فعلاً في احتلال عكا عام ١١١٢م، وبيروت عام ١١١٨م، ومنحوا حق إقامة محاكم خاصة بهم.

سقطت عكا إثر الحملة الصليبية الثالثة (١١٨٧م) وحدثت صدامات دمويـــة وقـــف فيها الجنويون مع كونراد، وطرد البيازنة من عكا وتصادم الجنويون مـــع البنادقـــة أيضاً صداماً عنيفاً في القرن الثالث عشر، وعندما لم تفلح جهود المصالحة، تحالف الجنويون مع بيبرس ووعدوا بمساعدته في فتح عكا.

٦٨ــ الأرثوذوكسية:

أرثوذكس مفردة يونانية تعني "الرأي المستقيم" وقد أطلقت على أتباع الدين القـــويم في المسيحية لتمييزهم عن أصحاب المذاهب الأخرى في المسيحية، وفـــي القـــرن ١١م انقسمت الكنيسة إلى شرقية وغربية، فعرفت الـــشرقية باســـم الأرثوذوكـــسية والغربية باسم الكاثوليكية.

الكنائس الأرثوذوكسية جمعيها ممثلة في فلسطين، وفي كنيسة القيامة نفسها، الكنيسة اليونانية العربية الأرثوذوكسية وأتباعها الروم الأرثـــوذكس، والكنيـــسة اليعقوبيـــة "كنيسة السريان الأرثوذكس"، والكنيسة الملكية.

بعد القرن ١١م أصبحت الكنيسة الأرثوذوكسية كنيسة مستقلة في فلـــسطين بطـــابع متميز عن الكنيسة العامة بدءاً من سنة ١٠٥٤م.

بعد الفتح الإسلامي استقرت اللغة العربية في الكنيسة الأرثوذوكسية وكـــان بعـــض القساوسة يجيدون اليونانية والعربية، لكن اللاتينية حلت محلها أثناء الغزو الصليبي، فأصبح رعايا الكنيسة خاضعين لإدارة مملكة القدس اللاتينية.

تعرضت الكنيسة بعد رحيل الصليبين إلى اضطهاد المماليك، وتم تعيين بطاركة عرب في القدس، وكان آخرهم البطريك عطا الله أو دوروتاوس الثاني (١٥٠٥-١٥٣٤)، وبعدها بدأ العثمانيون بمنح حرية العبادة للمسيحيين وبالتالي تعيين بطاركة يونانيين، ومنذ القرن ١٩ بدأت العناصر العربية في الكنيسة بالمطالبة بحقوقها نتيجة لتعدد المدارس التي أنشأتها الكنيسة الكاثوليكية في فلسطين والكنيسة الروسية الأرثوذوكسية التي نشطت وحاولت أن تحل محل الكنيسة اليونانية، ونتيجة لاعتماد اليونانيين على تأييد السلطان العثماني فقد رفضوا المطالب العربية حتى أن السلطان أقر أول نظام كنسي عام ١٨٧٥ ولم يراع فيه حقوق العرب، تبدل هذا النظام عام ١٩٣٤ من قبل البريطانيين لكن هذا النظام أيضاً ظل عاجزاً عن أنصاف العرب الأرثوذكس، ومازال الصراع بين اليونان والعرب قائماً.

تشمل الكنسية الأرثوذوكسية في فلسطين الكرسي البطريركي في القدس وست مطرانيات في قيصرية وبيسان والبتراء وعكا وبيت لحم والناصرة، وست مراكز رئيس أساقفة في اللد وغزة وسيناء ويافا ونابلس وسبسطية وجبل الطور.

٦٩ــ الأيوبيون:

يمكن القول إن الدولة الأيوبية وليدة الحركة الصليبية، عندما أدرك المسلمون وجوب توحدهم لمواجهة الخطر الصليبي، فشرع عماد الدين زنكي حاكم الموصل في تنفيذ خطة التوحيد، واكتمل توحيدها على يد نور الدين محمود بن زنكي الذي توفي عام ١١٧٤م تاركاً لصلاح الدين الأيوبي تحويل هذه الوحدة إلى طاقة تقوض الوجود الصليبي في الشام. ويقسم العصر الأيوبي في فلسطين إلى ٣ أقسام:

الأيوبيون قبل حطين (١١٧٤-١١٨٦م): يبدأ هذا العصر باستقلال صلاح الدين بمصر وخروجه إلى الشام لتوحيد المسلمين، وينتهي باكتمال بناء الجبهة المتحدة سنة ١١٨٦م. حيث أحاط صلاح الدين بالفرنجة بعد أن فرض سلطانة على مصر والمغرب والنوبة وغرب الجزيرة وفلسطين وسورية والموصل.

في ذلك الوقت كانت مملكة القدس اللاتينية قد بلغت غاية اتساعها حيث بسطت نفوذها على فلسطين من الساحل إلى الكرك ومن الجليل إلى وادي عربة.

الأيوبيون من حطين إلى وفاة صلاح الدين (١١٨٧-١١٩٢م): شن صلاح الدين حرباً شاملة على الفرنجة في هذه المرحلة، وأنزل بهم هزيمة ساحقة في حطين سنة ١١٨٧م، واسترد معظم المدن الساحلية على شاطئ فلسطين واستعاد بيت المقدس مما غير ميزان القوى بين الفرنجة والمسلمين، وحسب صلح الرملة ١١٩٢م فقد احتفظ الفرنجة بمملكة على شاطئ فلسطين كان لها طابع تجاري وليس سياسي.

وبانحسار النفوذ الصليبي عاد لفلسطين طابعها الإسلامي وعاد الازدهار لبيت المقدس وغدا المسجد الأقصى مقصد العلماء، ولم يمنع صلاح الدين الحجاج المسيحيين من زيارة أماكنهم المقدسة في المدينة بل كلف حراساً بحمايتهم.

الأيوبيون بعد صلاح الدين (١١٩٣-١٢٦٠م): هذه المرحلة استمرت حتى نهاية الدولة الأيوبية، فقد ترك صلاح الدين دولة مترامية الأطراف من الفرات إلى النيل، ولم يستطع أحد ملء الفراغ الذي تركه بعد وفاته في ١١٩٣م. لكن نفوذ الأيوبيين ظل في فلسطين حتى معركة عين جالوت سنة ١٢٦٠م.

لم تلبث أن نشبت حرب الوراثة بين أبناء البيت الأيوبي، وفي نهاية ١٢٠٠م كان الملك العادل سيف الدين أبو بكر قد وحد الدولة الأيوبية مرة أخرى تحت زعامته، وحارب الألمان الذين انتشروا على الساحل وانزل بهم هزيمة عند تل العجول في غزة عام ١١٩٧م، وعقد صلحاً مع الفرنجة عام ١١٩٨م مدته ثلاث سنوات، ثم عقد صلحاً آخر عام ١٢٠٤م بين الملك العادل والملك آموري الثاني ملك عكا، واقتضى هذا الصلح أن يترك العادل للفرنجة نصف صيدا واللد والرملة كما منحهم الناصرة ورد يافا إليهم، وكان هذا تساهلاً من العادل مع الفرنجة وصل إلى حد التفريط وهو ما اشتهر به طوال عمره وتوارثه عنه أبناؤه.

عام ١٢١٠م قام فرسان الرهبان الداوية باستفزاز المسلمين فخرج الملك عيسى بن العادل بجيش إلى عكا وأنزل بالفرنجة خسائر جسيمة وغنم المسلمون كثيراً وأسروا

كثيراً، وعادوا إلى جبل الطور حيث أقام المعظم عيسى قلعة تشرف على الناصرة وتحمي الجليل فأسرع الفرنجة لعقد هدنة مع الملك العادل لمدة ست سنوات (١٢١١-١٢١٧م).

في خريف ١٢١٧م هاجم الصليبيون القلعة للسيطرة على الجليل، لكنهم فشلوا، غير أنهم استولوا على بيسان، فقام السلطان العادل بتخريب القلعة لأنه لا يمكن حفظها.

عاد أبناء السلطان العادل إلى التفرق خصوصاً الكامل محمد في مصر والمعظم عيسى في دمشق واستعان كل منهما بقوة خارجية.

عقدت معاهدة لمدة عشر سنوات سنة ١٢٢٩م بين الإمبراطور فردريك الثاني والسلطان الكامل الذي منح الفرنجة بيت المقدس وبيت لحم والناصرة على أن تكون سائر قرى القدس للمسلمين، وألا يجدد سور القدس وأن الحرم والمسجد الأقصى بأيدي المسلمين.

دب الخلاف عميقاً في الأسرة الأيوبية، ووسط هذا الخلاف انتهى أجل الصلح، فانتهز الناصر داوود إقامة الفرنجة للأسوار حول القدس خلافاً للمعاهدة فاستولى على القدس وأخرج منها الفرنجة، لكن الصالح إسماعيل مد يده إليهم طالباً مساعدته على الصالح نجم الدين أيوب في مصر والناصر داوود في الكرك مقابل إعطائهم القدس وعسقلان وقلعة الشقيف وقلعة صفد وقسمة طبريا وصيدا بينهما، وهكذا عادت بيت المقدس للفرنجة.

هزم الفرنجة عند غزة، فعقدوا صلحاً مع الصالح نجم الدين أيوب سنة ١٢٤٠م، وعاد الصالح إلى الاستعانة بالخوارزمية بعد أن قرر الفرنجة الوقوف مع الصالح إسماعيل، فاندفع الخوارزمية ليستولوا على طبرية ونابلس والقدس عام ١٢٤٤م وبذلك عادت بيت المقدس للمسلمين.

وتوجه الخوارزمية إلى غزة ولاقوا مع جيوش الصالح أيوب الفرنجة في معركة غزة الثانية وهزموهم هزيمة ساحقة سنة ١٢٤٤م. وسميت الموقعة "حطين الثانية".

عاقب الصالح أيوب الفرنجة في فلسطين واستولى على طبرية واقتحم عسقلان ودمر تحصيناتها عام ١٢٤٧م فانحسر الفرنجة إلى حدود يافا.
انتهت الدولة الأيوبية بسبب قيام دولة المماليك، وبسبب زحف التتار على المنطقة، حيث قام الأيوبيون بالخضوع للتتار وحاولوا استرضاءهم، وتخاذلوا عن حربهم وكان ذلك فصل الختام في دولة الأيوبيين.

٧٠ـ المماليك:

حكام مصر والشام في الفترة بين ١٢٥٠ـ١٥١٧م، وقد ضموا أقواما من الأتراك والشركس وجنسيات أخرى ممكن أسروا في الحروب.
ألف الأيوبيون منهم فرقاً عسكريةً خاصة، لكن اسم المماليك الدال على العبودية لم يدل مطلقا على الدور الحضاري الذي لعبوه في التاريخ.
قسم عهد المماليك إلى عهدين، المماليك البحرية [الأتراك] والمماليك البرجية [الشراكسة]، ونحن هنا لسنا بصدد استعراض تاريخ المماليك إلا بقدر علاقتهم بفلسطين.
بعد عدة مؤامرات، تولى السلطان سيف الدين قطز، وفي عهده وصل التتار إلى بلاد الشام، فجهز الجيوش إلى عين جالوت في فلسطين عام ١٢٦٠م، بقيادته وقيادة الظاهر بيبرس، وحقق نصراً حاسماً على التتار حمى المنطقة من دمار شامل.
قتل قطز على يد بيبرس، فاستولى الأخير على السلطة، ويعد بيبرس المؤسس الحقيقي لدولة المماليك، بل هو أعظم قادتها على الإطلاق، فقد جرد عدة حملات على الصليبيين، وقضى على مملكة أنطاكية الصليبية، وساهم ذلك بشكل فعال في القضاء على الوجود الصليبي في الشام ومصر، وقد قام بفتح قيسارية وصفد وهونين وتبنين والرملة وقلعة الشقيف، وهاجم صور وعكا، وإلى جانب ذلك عمر الأسطول ونظم الجيش وحسّن الموانئ وبنى الجوامع وأقام المؤسسات الدينية وجدد الخلافة العباسية في القاهرة.

بعد بيبرس جاء المنصور قلاوون ثم ابنه الأشرف [١٢٩٠ــ١٢٩٣م] الذي توج حركات الصراع مع الفرنجة بفتح عكا وإنهاء الوجود الصليبي فيها عام ١٢٩٢م، واسترد جميع مدن الساحل.

في عهد المماليك البحرية [١٢٥٠ــ١٣٨٢م] اكتسبت فلسطين موقعاً خاصاً كونها بلدا ساحليا يقع بين مصر والشام، ولوجود الصليبيين فيها، وقد قسمت إلى ثلاث نيابات هي القدس وغزة وصفد، وقد كانت غزة عقدة البريد المملوكي بين القاهرة ودمشق والكرك.

أسكن المنصور قلاوون جنوده في أبراج القلعة في القاهرة فعُرفوا بالمماليك البرجية [١٣٨٢ــ١٥١٧م]، واستطاع سيف الدين برقوق القضاء على دولة المماليك الأتراك وأنشأ بذلك دولة المماليك الشراكسة، وقد وضع سياسته على أساس مواجهة المغول والصليبيين، فلم يغير التقسيمات الإدارية القديمة.

خلف المماليك الشراكسة في فلسطين الكثير من المنشآت، مثل مزار سيدي بشير في جسر بنات يعقوب وخان الباشا في صفد ووكالة الفروجية في نابلس والمدرسة الأشرفية في الحرم القدسي وكثير من التكايا والربط والزوايا، كما انشأ الأمير يونس النوروزي خاناً أصبح فيما بعد مدينة خان يونس الحالية، واحتفظت غزة بأهميتها السابقة، وظهرت في عهدهم أيضاً مؤلفات الفقه والتراجم ومؤلفات ذات طابع موسوعي، ثم سقطت دولة المماليك الشراكسة على يد العثمانيين سنة ١٥١٧م في موقعة مرج دابق، وقد كان من أسباب سقوطها تكرر الجفاف والقحط والجراد والمجاعات والأوبئة وهجمات تيمورلنك التتري، أضف إلى كل ذلك اعتماد الأتراك على الأسلحة النارية المخترعة حديثاً حينها.

٧١ــ العثمانيون:

ينحدر العثمانيون من قبائل الغز التركمانية، أقاموا منذ ١٢٣٧م إمارة حربية شمال الأناضول تمكنوا بعدها من إزاحة السلاجقة في عهد السلطان عثمان بن أرطغرل (١٢٨٠-١٣٠٠م)، و الذي حملت الأسرة اسمه، ثم خلفاؤه من بعده.

أصبح العثمانيون القوة الرائدة في العالم الإسلامي بعد أن استطاع محمد الفاتح (١٤٥١-١٤٨١م) فتح القسطنطينية سنة ١٤٥٣م، وبدأ العثمانيون بعدها في التوجه صوب القوي الإسلامية في الشرق منذ مطلع القرن ١٦م فتمكن السلطان سليم الأول (١٥١٢-١٥٢٠م) من فتح بلاد الشام وفلسطين ١٥١٦م، بعد انتصاره في معركة مرج دابق بالشام وقتل السلطان المملوكي قنصوه الغوري وسقطت دولة المماليك مما أدى إلى انتقال زعامة العالم الدينية والسياسية إلى الدولة العثمانية.

عام ١٥١٦م احتل العثمانيون مدينة القدس، وكان حكم العثمانيون في فلسطين الأطول على مر العصور حيث امتد إلى ٤٠٠ سنة. بداية العهد العثماني امتاز بظاهرة البناء والتطور في مختلف أنحاء البلاد وفي القدس. ولكن بعد فترة زمنية طويلة بدأ تدهور السلطة المركزية، وثانية تم إهمال البلاد. بالنسبة لأسوار البلدة القديمة والتي ما زالت قائمة حتى يومنا هذا، تم إصلاحها وترميمها طيلة خمس سنوات (١٥٣٦-١٥٤١م) على يد السلطان العثماني "سليمان القانوني".

في نهايات العهد العثماني جرت الكثير من الأحداث على أرض فلسطين خصوصا بعد سيطرة والي مصر محمد علي عليها ومنازعة العثمانيين في ولاية مستقلة تضم فلسطين، أرسل محمد على باشا جيشًا بريًّا وآخر بحريًا إلى بلاد الشام بقيادة إبراهيم باشا، وسيّر الخليفة العثماني له جيشًا بقيادة رشيد باشا ولكنه هُزم أمام إبراهيم باشا. بعد انتصارات إبراهيم باشا على العثمانيين في الشام اتفقت الدولة العثمانية ومحمد على باشا على توقيع معاهدة "كوتاهية". وفي عهد السلطان عبد الحميد الثاني بدأت تظهر بعض الجمعيات والمؤسسات التي تدعو إلى التعصب القومي ومنها جمعية تركيا الفتاة وجمعية الاتحاد والترقي، بعضها كان يسيطر

عليها اليهود بشكل أو بآخر، وعملت هذه الجمعيات على إسقاط الخلافة الإسلامية والدعوة إلى القومية التركية. وفى هذه الفترة أيضًا كانت الدول الأوربية تشجع الثورة والتمرد على الدولة العثمانية فبدأت الدولة العثمانية تسير خطواتها الأخيرة في طريق الأفول، وبعد الحرب العالمية الأولى تسارعت خطوات التدهور فانتهى التواجد العثماني في فلسطين تماما عام ١٩٢١م.

٧٢ـ التتار:

تعرضت فلسطين لخطر التتار مرتين أيام المماليك، الأولى كانت عام ١٢٥٩م حين اجتاح هولاكو الشام ووقعت مدن الخليل وبيت جبرين وغزة تحت سطوة السلب والنهب والقتل والتدمير.

وعلى أرض فلسطين كانت المعركة الفاصلة في عين جالوت بين جيوش المماليك بقيادة قطز وجيوش التتار بقيادة "كبتغاوين" انتهت بانتصار المماليك (١٢٥٩م) وطاردوا التتار حتى بيسان. لكن المناوشات ظلت قائمة، وفي عهد الناصر محمد بن قلاوون استولى التتار بقيادة غازان التتري على دمشق وقام جنوده بنهب القدس وغزة.

أما المرة الثانية، فكانت في عهد الظاهر برقوق بن آنص، فقد هدد تيمورلنك الشام عام ١٣٩٤م فأرسل السلطان برقوق الجنود إلى الشام للتصدي لتيمورلنك، لكن يتمورلنك لم يقدم على ملاقاة الجيوش، وعاد لتهديد دمشق عام ١٤٠٠م بعد وفاة برقوق وتولي ابنه فرج، الذي خرج لملاقاة تيمورلنك فهزم وتشرد الناس من صفد والقدس والرملة وغزة، وهربوا إلى مصر.

٧٣ــ الإشكنازيون:

أطلق لفظ الإشكنار على أحد الشعوب التي وردت في سفر التكوين، وأصلها اسم أحد أحفاد نوح، وقد أخذت تطلق على اليهود الألمان خصوصاً وعلى يهود أوروبا عموماً ابتداء من القرون الوسطى.

تميز الإشكنازيون بعدم تقبل حضارة الشعوب التي يعيشون على أرضها، وحافظوا على لغة الإيدش الخاصة بهم، وقد توصل قسم كبير منهم إلى غنى فاحش بسبب إدارة أموال الأمراء واحتكار المحالج والمناجم.

عقب التطور الاجتماعي الذي حدث في أوروبا الغربية، بدأت عملية طرد الإشكنار، وذلك بسبب رغبة البرجوازية في الحلول محلهم في إدارة الأموال، لأن الأشكناز تعسفوا حتى أصبحوا مضرباً للمثل في الجشع والاحتكار. فشهد القرن الرابع عشر الميلادي مجازر وحرائق ضدهم، وقد أخرجوا من انجلترا نهائياً مع نهاية القرن الثالث عشر، ومن فرنسا في نهاية القرن الرابع عشر ومن ألمانيا في نهاية القرن الخامس عشر. وذهب معظمهم إلى أوروبا الشرقية. وفي القرن ١٩ كان ٨٧%منهم يعملون في التجارة . مع نفس الجشع والاحتكار والعمل بالربا الذي أخرجهم من أوروبا الغربية فتكررت محاربتهم عندما انتقلت أوروبا الشرقية من الإقطاع إلى الرأسمالية.

يعتبرون المؤسس الفعلي للحركة الصهيونية، وقد شغلوا أهم المناصب في دولة إسرائيل بعد قيامها، وشكلوا حتى نهاية الخمسينات أغلبية سكان إسرائيل.

ظلوا حتى في إسرائيل متعالين على بقية الطوائف ولهم حاخامهم المستقل ويرفضون الاندماج مع بقية اليهود "السفارديم".

٧٤ــ السفرديون:

هم يهود إسبانيا وحوض المتوسط (أي الذين ليسوا أشكناز)، وتحمل الكلمة (سفرد) دلالة دينية إلى جانب الدلالة الاجتماعية، لأن طقوسهم الدينية هي استمرار للطقوس

اليهودية التي نشأت في بابل، كما أن عبريتهم مختلفة عن عبرية الاشكناز، ولكن بالنسبة للحديث اليومي فإنهم يتحدثون اللغة التي تتبع البلاد التي جاؤوا منها.
يشكل السفرديون ١٠% من يهود العالم، ولم تبذل الحركة الصهيونية جهداً لتهجيرهم في البدايات لأن اليهودي بتعريفها هو (الاشكنازي). بل ذهب بعض الباحثين اليهود إلى القول بأن السفرديم "ليسوا يهوداً"، ومع ذلك فقد استمرت هجرتهم إلى أن أصبحوا ٥٠% من سكان إسرائيل، لكن السفرديم مازالوا يعانون من التفرقة، فهم لا يحتلون مراكز عليا، فالتفرقة متغلغلة على المستوى الثقافي كذلك (٥% من مجموع الخريجين، ولا يزيد معدل التزاوج مع الاشكناز عن ١٧%).

٧٥ـ البابية:

ليس لهذا المذهب علاقة قوية بفلسطين، غير أن قبر مؤسسة نقل خلسة إلى حيفا وله فيها ضريح أصبح مزاراً لأتباعه.
البابية مذهب ديني ظهر في ١٨٤٣م في إيران على يد الميرزا علي محمد رضا الشيرازي الذي أدعى أنه الباب إلى الإمام المنتظر المستور فعرف مذهبه بالبابية.
كتب كتاباً ضم تعاليمه اسماه البيان، وأصدر العلماء فتوى بارتداده عن الإسلام وبقتله، وقد سجن ثم أعدم عام ١٨٥٠م.

٧٦ـ البهائية:

حركة دينية تنسب إلى البهاء حسين بن علي المازندراني (١٨١٧-١٨٩٢م)، الذي كان هو وأخوه الأكبر من أتباع البابية، وبعد إعدام الباب سنة ١٨٥٠م، نفاهما العثمانيون، الكبير إلى قبرص، والبهاء إلى مكان قرب عكا يدعي البهجة، وقد دفن البهاء في عكا وخلفه ابنه عباس أفندي الملقب عبد البهاء (١٨٤٤-١٩٢١م).

تركزت دعوة البهاء على إنشاء دين جديد فكتب كتاباً سماه الأقدس وهو نسخ لكتاب البيان للباب، ثم كتب الإيقان والإشراقات، وجعل كتابه الأقدس في عداد الكتب السماوية، وادعى أنه المسيح المنتظر وأنه يرى الله، وأخيراً ادعى الإلوهية.
كانت هناك علاقة وطيدة بينه وبين اليهود الذين دفعوه ليعلن نفسه رباً للجنود، وقد أكمل ابنه دعوة اليهود للاجتماع في الأراضي المقدسة، وفي المؤتمر ٣٧ لضباط المقاطعة التابع لجامعة الدول العربية تقرر مقاطعة البهائيين واعتبارهم مرتبطين بالصهيونية، لكن البهائيين العرب يدفعون هذه التهمة عن أنفسهم.

٧٧ـ الصهيونية:

حركة تهدف إلى تجميع اليهود في أرض فلسطين، أخذها المفكر اليهودي ناثان برنباوم من كلمة صهيون، وتستند إلى اعتقاد يهودي بعودة المسيح ليحكم العالم من جبل صهيون في فلسطين وقد قام الصهاينة بتحويل هذا المعتقد إلى برنامج سياسي، يعتمد في الأساس على مقولة أنه لا يمكن حل مشاكل الشعب اليهودي المشتت إلا بالعودة إلى فلسطين.
ويعيد الصهاينة جذور الحركة الصهيونية إلى الدين اليهودي ذاته مع العلم أن التوراة تحرم العودة إلى أرض الميعاد إلا عن طريق مبعوث إلهي هو المسيح. ولذلك فإن هناك جماعات يهودية عارضت الصهيونية أبرزها جماعة "ناطوري كارتا".
ولنعد إلى البداية في تشكيل هذه الحركة، فقد شهد شرق أوروبا تحولاً من الإقطاع إلى الرأسمالية صاحبة انفجار سكاني نتج عنه وجود أعداد كبيرة من اليهود لم تتمكن المجتمعات الرأسمالية من استيعابها فنشأت بذلك "المسألة اليهودية". ومن ضمن الحلول العديدة التي طرحت للمسألة اليهودية برز الحل الصهيوني الذي قال بعودة اليهود إلى فلسطين والاستيطان فيها.

بدأ هرتزل بتنظيم المسألة ابتداء من نهايات القرن ١٩م، ودعا إلى عقد المؤتمر الأول في بال بسويسرا ١٨٩٧م، وقد قرر من البداية الاعتماد على دولة امبريالية كبيرة ولذا فقد توجه إلى العثمانيين والفرنسيين والألمان والانجليز كدول لها نفوذ ومصالح في المنطقة وقد توجت جهوده بالحصول على وعد بلفور عام ١٩١٧م.

وتقسم المدارس الصهيونية إلى فرقتين أساسيتين: صهيونية استيطانية وصهيونية تدعيمية الأولى تهدف إلى تجميع اليهود وتوطينهم في فلسطين والثانية تهدف إلى تجنيد اليهود أينما كانوا لخدمة الأولى. ومن مؤسسات الصهيونية الاستيطانية مثلاً: الهستدروت والكيبوتس والهاغاناة أما الصهيونية التدعيمية فاشتهر من مؤسساتها الوكالة اليهودية "المنظمة الصهيونية العالمية".

وتنكر الصهيونية على يهود الشتات حقهم في الانتماء إلى الشعوب التي يعيشون فيها، ولذا فإن بعض اليهود الأرثوذكس يعتبرونها نوع من الكفر.

٧٨ــ الشركس:

شركس أو جركس تعني في الأصل أفراد قبيلة كركت الأديفية القديمة، لكنها عممت لتشمل معظم سكان القفقاس الشمالي.

وعهد الشركس في الشرق العربي يرجع إلى عهد الدولة الأيوبية والتركية والشركسية في بلاد الشام ومصر أيضاً إذ حكموا لمدة ١٣٥ سنة ثم انصهروا بين السكان العرب.

بعد الهزائم التي مني بها العثمانيون، قاموا بنقل الشركس من أوروبا إلى بلاد المشرق العربي، وهكذا وصل الشركس إلى فلسطين وسورية والأردن (١٨٧٨م) ومعظم الشركس في فلسطين جاؤوا عن طريق ميناء حيفا، وقد فتكت بهم الأمراض وهم في البحر، وعندما وصلوا أقاموا في مناطق وزعتها عليهم الحكومة العثمانية، وكانت أحوالهم قاسية، إذ قطنوا منطقة المستنقعات في بيسان وبالقرب من جبولة وقيسارية وقرية لوبيا وخربة كفر كما وعلما، وأنشأوا بعد ذلك قرية الريحانية

وقرية كفر كما، واستوطنت مجموعة أخرى خربة شركس وخربة أسطاس في الخليل وقرية صميل، وكان ذلك في عهد السلطان عبد الحميد بن عبد المجيد، وكان عددهم عند قدومهم عام ١٨٧٨ حوالي ٩٠٠ نسمة.

تحسنت أحوال الشركس بعد أن غادروا الأراضي السيئة التي قطنوها في البداية، حتى أن قرية الريحانية أصبحت من أهم قرى طبريا، وكانت مدرسة كفر كما من أقدم مدارس المنطقة (١٨٩٧)، وبلغ عدد الشركس ٩٥٠ نسمة عام ١٩٤٥ وانخفض إلى ٨٠٦ عام ١٩٤٩، وقد غادرت عشرون أسرة شركسية فلسطين واستقرت في قرية مرج السلطان قرب دمشق بصفة لاجئين.

حاول الإسرائيليون إبعاد الشركس عن العرب وتمييزهم، فقاموا بإقرار تدريس اللغة الشركسية في مدارسهم ولكن الشراكسة رفضوا إلغاء اللغة العربية، لكن إسرائيل فرضت عليهم التعليم بالشركسية والعبرية، وأحضرت لهم عام ١٩٧٣ أستاذاً أمريكياً ليعلمهم الكتابة بلغتهم هو (كاتفورد) المتخصص في القفقاسيات.

عام ١٩٦٩ بلغ عدد الشركس في فلسطين ١٧٤٥ نسمة، وتجب الإشارة إلى يهود جبال القفقاس الذين يرجعون إلى عهد نبوخذ نصر واستوطنوا بحر الخزر، وقد هاجرت أفواج منهم إلى فلسطين مطلع القرن العشرين، استوطنوا بير يعقوب وأقام بعضهم في القدس وفي الحي القفقاسي في تل أبيب. ورغم أن هذه الطائفة ترتدي زي الشركس وتتكلم لغتهم إلا أنهم يختلفون عن الشركس الأصليين.

٧٩ــ الحالوتسيم:

كلمة عبرية تعني رواد أو طلائع، وقد أطلق هذا الاسم على تيار الهجرة الثانية بين ١٩٠٤-١٩١٤م. وكان كثير من هؤلاء المهاجرين أعضاء في جمعيات ثورية روسية وترجع أصول هذا التيار إلى أحداث ١٩٠٥ في روسيا والاضطرابات ضد اليهود، ويفترض في الحالوتس أن يكون مضحياً بذاته وعلى استعداد لحياة النسك

من أجل الجماعة. وأن يكون مهتماً بالعمل الزراعي وبإحياء اللغة والثقافة العبريتين.

وقد رفض الحالوتسيم فكرة الشتات وآمنوا بفكرة عودة يهود العالم إلى فلسطين، وقد أوجزوا أهدافهم في ثلاث نقاط: أرض عبرية وعمل عبري ولغة عبرية. وبرزت في تلك الفترة الدعوة إلى احتلال الأرض وممارسة العمل العبري، وساهم الحالوتسيم في فكرة الحراسة الذاتية للمستعمرات الصهيونية في فلسطين، وهذا سبب ارتباط الريادة بالكيبوتسات الزراعية.

يعتبر أهارون غوردون الأب الروحي المؤسس للحالوتسيم الذي استمد دعوته من التوراة وهي تنص على تقديس العمل كجزء من الدين.

المراجع:

١ــ الموسوعة الفلسطينية ــ الأجزاء من ١ إلى ٤

٢ــ ابن جرير الطبري ــ تاريخ الأمم والملوك

٣ــ الحافظ ابن كثير ــ البداية والنهاية

٤ــ مصطفى مراد الدباغ ــ بلادنا فلسطين

This document was created with Win2PDF available at http://www.daneprairie.com.
The unregistered version of Win2PDF is for evaluation or non-commercial use only.